تاريخ الخلاص

مسيرة شعب وعائلة

موضوع الدّرس ٢٠٢٦ -٢٠٢٧

تاريخ العائلة في الكتب المقدّسة من العهد القديم حتى الجديد

ترجمة ألين كنعان إيليّا

الفرقة المسؤولة العالميّة، شباط ٢٠٢٦

فرق السيدة

مقدّمة

تقترح الفرقة المسؤولة العالميّة على كلّ فرق العالم، للسنة الثالثة من الفترة الممتدّة من العام 2024 حتى 2030 موضوعًا للدّراسة يستند إلى تأمّل في الأسرة بحسب الكتب المقدسة، وإلى ما عُرض خلال اللقاء العالميّ في تورينو، "مدعوّون إلى أن نعيش في الشّراكة". وفي هذه السنة الثالثة، كما أوضحنا آنذاك، نريد أن نتعمّق في الموضوع الآتي: "مدعوون إلى أن نعيش في الشّراكة داخل الأسرة".

ونشكر فريق التحرير في المنطقة الكبرى في إسبانيا على تقديمهم نصًا يساعدنا على إعادة اكتشاف حياتنا الزوجيّة والعائليّة كمكان مميّز يعمل فيه الله ويكتب فيه اليوم قصّة حبّه للبشريّة.

في خلال هذه الأشهر، سنسير عبر تاريخ الخلاص العظيم كما تقدّمه لنا الكتب المقدسة، مكتشفين أنّه ليس قصة بعيدة أو غريبة عنّا، بل مرآة تنعكس فيها خبرتنا الخاصة كأزواج ووالدين وأبناء وأعضاء في فرق السيدة. فتاريخ الخلاص هو، منذ البداية، مسيرة شعب وعائلة. ولذلك، فإنّ قصّتنا نحن أيضًا بما فيها من حسنات وسيئات، يمكن أن تصبح مكانًا للقاء الله.

إنّ كلّ قصة، عندما ننظر إليها بعين الإيمان، يمكن أن تصبح تاريخ خلاص. ونحن لا نتحدّث عن قصّة مثاليّة أو كاملة، بل عن قصّة حقيقيّة، منسوجة من لقاءات وانقطاعات، ومن أمانة وهشاشة، ومن بَحثٍ صادق وأخطاء تجرحنا. وفي هذا الواقع الملموس، وفي الحياة اليومية تحديدًا، يختار الله أن يدخل لكي يكشف عن ذاته ويخلّص. فالكتاب المقدس يبيّن لنا أنّ الله لا يعمل بمعزل عن التاريخ البشري، بل في داخله، إذ يختار عائلات حقيقيّة، موسومة بحدودها وخطاياها، لكي يدفع مشروعه للشّراكة إلى الأمام.

تتألّف هذه المسيرة من ثمانية فصول تبدأ في الصفحات الأولى من سفر التكوين، حيث نتأمّل كيف خُلقنا على صورة الله ومثاله، ودُعينا إلى الشّراكة والتكامل والخصوبة. ومن هناك، ندخل بلا خوف إلى واقع الخطيئة، لا باعتبارها مجرّد خطأ أخلاقي، بل كانقطاع عميق يجرح هويّتنا وعلاقاتنا وقدرتنا على الحبّ. وسيساعدنا الكتاب المقدّس على التعرّف إلى ديناميّات الخطيئة التي تعبر تاريخ الأسرة، من مقارنات ومنافسات وصمت وجراح موروثة، ونكتشف أنّ الله لا يكلّ من التدخّل ليفتح لنا دروب المصالحة.

كذلك، سنرى كيف يتجلّى حبّ الله الأمين بشكل خاص في صورة الزواج والعهد. فالأنبياء يكشفون لنا إلهًا يحبّ كالعريس، ويبقى أمينًا حتى عندما يُرفَض، ويُعطي فرصة البدء من جديد على الدوام. من هنا، نرى دعوتنا الزوجية من منظار جديد: لقد خُلقنا من أجل الوحدة، وحبّ فريد وأمين وكامل، يعكس محبّة الله نفسه. بالإضافة إلى ذلك، ستقودنا هذه المسيرة إلى التأمّل في الأسرة باعتبارها قلب الملكوت، ومكانًا أراد يسوع أن ينمو فيه، ومنه أعطى قيمة سامية لكلّ العلاقات الإنسانيّة. وهكذا تظهر الأسرة لا باعتبارها مجرّد متلقّية للخلاص، بل فاعلًا أساسيًا في الرّسالة، مدعوّة إلى أن تكون كنيسة بيتيّة ومكانًا للتبشير.

وفي هذا السياق، يحتلّ نقل الإيمان مكانة محوريّة، باعتباره شهادة تنتقّل من خلال الحياة، والصّلاة المشترَكَة، والغفران، والانسجام في الحياة اليوميّة. ونقترح أيضًا، في ختام موضوع الدّرس، وقتًا للمراجعة والتقييم، لكي نستعيد في ضوء جديد المسيرة التي قمنا بها، ونشكر الله على ما عشناه، ونتعرّف إلى الثمار، وننفتح بثقة على ما صنعه الربّ وما سيواصل القيام به في حياتنا الشخصيّة والزوجيّة وحياة الفرقة.

لا يهدف موضوع الدّرس هذا إلى أن يقدّم لنا إجابات جاهزة أو نماذج مثاليّة للأسرة، بل بالأحرى، أن يساعدنا على النّظر إلى حياتنا الشخصيّة بعينيّ الله، وأن نتصالح مع تاريخنا، ونكتشف أنّ الله يواصل العمل بأمانة ورجاء حتى عندما نصل إلى مكان مسدود في حياتنا أو نعيش جراحات.

وبكوننا أزواجًا في فرق السيدة، نسير معًا ونحن مقتنعون بأنّنا لسنا وحدنا، وأنّ نعمة السرّ تمدّنا بالقوّة، وأنّ الرب يستمرّ في جعل كلّ شيء جديدًا.

عسى أن تساعدنا هذه المسيرة على تجديد إيماننا، وتعزيز شراكتنا، وأن نسمح لأنفسنا بأن نتغيّر على يد ذاك الذي يواصل اليوم كتابة تاريخ خلاصه في كنف عائلاتنا.

مرسيدس غوميز–فيرير وألبرتو بيريز

الزوجان المسؤولان عن فرق السيدة في العالم

تاريخ الخلاص، مسيرة شعبٍ وعائلة.

الفصل الأوّل – خُلِقنا للشَّراكة
"لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا" (تك ١، ٢٦-٣١)

الأهداف

- التأمُّل في أُصولنا: "مخلوقون على صورة الله كمثاله"
- شكر الله على مسيرتنا لنعيش التّكامل: "ذكرًا وأنثى خلقهم"
- قبول الرسالة الموكَلَة إلينا بأن نتحلّى بخصوبة تتخطّى الأبوّة/الأمومة الجسديّة

قراءة الكلمة

قراءة من سفر التكوين ١، ٢٦-٣١

وقال الله:
لِنَصنَعِ الإنسانَ
على صُورَتِنا كَمِثالِنا
وَلْيَتَسَلَّطْ على أَسْمَاكِ البَحرِ وطُيورِ السَّماء
والبَهائِمِ وجَميعِ وحُوشِ الأَرض
وجميعِ الحَيَواناتِ الَّتي تَدِبُّ على الأَرض».
٢٧فَخَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِه
على صُورَةِ اللهِ خَلَقَه
ذَكَرًا وأُنْثى خَلَقَهم
٢٨وبارَكَهُمُ اللهُ وقالَ لهم:
«اِنْمُوا وٱكْثُروا وٱمْلَأُوا الأَرضَ وأَخضِعوها وَتَسَلَّطوا على أَسْماكِ البَحرِ وطُيورِ السَّماءِ وَكُلِّ حَيَوانٍ يَدِبُّ على الأَرض».

٢٩وقالَ الله: «ها قد أَعطَيتُكم كُلَّ عُشبٍ يُخرِجُ بِزرًا على وَجهِ الأَرضِ كُلِّها
وكُلَّ شَجَرٍ فيه ثَمَرٌ
يُخرِجُ بِزرًا يَكونُ لَكم طَعامًا.
٣٠ولِجَميعِ وحُوشِ الأَرضِ وجَميعِ طُيورِ السَّماء، وجَميعِ ما يَدِبُّ على الأَرضِ
مِمَّا فيه نَفْسٌ حَيَّة
أَعطَيتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخضَرَ مأكَلًا».
فكان كذٰلك.
٣١ورأَى اللهُ جَميعَ ما صَنَعَه فإذا هو حَسَنٌ جِدًّا.
وكانَ مَساءٌ وكان صَباح: يَومٌ سادِس.

تعليق

يقدِّم لنا النصُّ الكتابيُّ ثلاث إضاءات حول العائلة، تُجيب عن ثلاثة أسئلة: أصولنا، والدرب الذي نحن مدعوّون أن نسلكه، وهدف حياتنا.

الأصل:

وقالَ اللهُ: "لِنَصنَعِ الإنسانَ على صورَتِنا كَمِثالِنا".

من بين الأهداف الكثيرة التي يمكن أن نضعها لأنفسنا في الحياة، يبقى الأهمّ دائمًا هو "**أن أكون أنا**"، وأن أنطلق في حياتي من أعمق ما في كياني.

إن كنتُ مخلوقًا على صورةِ اللهِ ومِثالِه، وكانَ اللهُ محبَّةً، فإذًا لا تعتمد هُويَّتي الأساسيّة على ما أفعَلُه، ولا على ما أمتلِكُه، ولا على ما يُفكِّرُ فيه الآخرونَ عنّي. في عمق كياني، وقبلَ أيِّ نجاحٍ أو فشَل، أنا مدعوٌّ إلى أن أعيش هذه الحقيقة: أنا محبَّةٌ، وأنا مخلوقٌ لأُحِبّ.

إنّ الكوارث الأكثر فظاعةً والخيانات الأكثر تدميرًا في الحياة تنشأ دائمًا من تجربة التوقّف عمّا أنا عليه حقًّا، بدءًا من عدم قبولي لذاتي:

"لا قيمةَ لي"،

"لا يُمكِنُ لأحد أن يُحبَّني كما أنا"،

"تاريخي، وجسدي، وحياتي... كلّ ذلك صُنع بشكل خاطئ".

إذا لم أؤمن بأنّ لي قيمة فريدة في ذاتي، تتجاوز صفاتي أو استحقاقاتي، فسأبحث عن هذه القيمة من خلال تضخيمِ "الأنا"، وفي الانطواءِ على نفسي، وفي المطالبةِ بالطمأنةِ المستمرَّة، وفي الانتظار من الآخرين ما وحدها نفسي تستطيع أن تمنحني إيّاه، وفي رؤيةِ الجميعِ أعداءً ليسوا على قدر توقُّعاتي... وقبلَ كلِّ شيء، سأحمّل الله الآب هذا الألمَ، معتقدًا بأنه هو المسؤول الأوَّل عن الكارثةِ التي أنا عليها ألا وهي حياتي؛ أو، في أحسنِ الأحوال، إن لم أنقم عليه فسأشعر بأني لستُ أهلاً بأن يحبّني.

كثيرًا ما نسمع مثَلَ "اللؤلؤةِ الثمينة"، فنعتقد أننا فهمناه ونعطيه "بُعدًا أخلاقيًا"، ونظنّ بأنّنا نحنُ التاجر، وأنَّ هذا المثَلَ يدعونا إلى أن نبيعَ كلَّ شيءٍ من أجلِ ملكوتِ الله. ولكن، ماذا لو كانَ الأمرُ معاكسًا؟ ماذا لو كنتَ أنتَ اللؤلؤةَ الثمينة، وكانَ يسوعُ هو التاجرَ الذي باعَ كلَّ شيء، حتّى دمه، ليشتريَك؟ ألا تتغيّر المعادلة؟

وهكذا هو الأمرُ فعلًا: أنتَ اللؤلؤةُ الثمينة، التي من أجلِها أسلم الله بنفسه ابنَه إلى الموتِ ليشتريَك ويُحرِّرَك ممّا لا يشبهك، من "نقص المحبّة". فإن كنتَ أنتَ محبَّة، فنقص المحبّة لا يؤذيك من الناحية الأخلاقيّة فحسب، بل يُحطِّمُكَ في الكيان.

ما أن نؤمن بذلك حتى نبذُل ذواتنا من دونِ أن نواصل البحث عن أنفسنا، أو حتى أن نطلب تأكيدًا لِقيمتنا من الآخرين أو أن نستجديَ المحبَّةَ في كلِّ لحظة... وعندما نعترف بهذه الحقيقةِ نُعيدَ مشروعنا الزوجيّ والعائليّ نحو الوجهة الصحيحة.

وحينَ ننسى أنّنا مخلوقونَ على صورةِ اللهِ ومِثالِه، نطالِبُ الآخرَ بما لا يستطيعُ أن يُعطيَه.

مشروعٌ نبنيه

"ذكرًا وأنثى خلقهم"

"فخلقَ اللهُ الإنسانَ على صورتِه، على صورةِ اللهِ خلقَه، ذكرًا وأنثى خلقهم".

من المُدهِشِ أن نقرأَ هذه الآيةَ، المكتوبةَ منذ آلافِ السنين، وهي تُعلِنُ بوضوح المساواةَ الجوهريّةَ بين الرجلِ والمرأة. ومن الضروريّ أن نفهم هنا أنَّ كلمةَ "الإنسان" لا تعني "الذّكَر": إنّها تشير إلى البشريّة ككلّ، وليس الرجلِ الذّكَرِ بشكل خاص.

من اللافتِ أنَّنا نجد في الآية حرفَ عطفٍ وليس أداةَ فصلِ "أو" وهو ما كانَ سيبدو أكثرَ منطقيًّا: "ذكرًا أو أنثى". من هنا، يُبيّنُ اللهُ بوضوحٍ أنَّه لم يشَأْ أن يكونَ الكائنُ الذي على صورتِه حِكرًا على فردٍ واحدٍ مكتفٍ بذاته ("هذا أو ذاك")، بل ثمرةَ التكاملِ بين اثنين: رجلًا وامرأة، هذا وتلك معًا. فصورةُ اللهِ تُعبّرُ عن نفسِها،

وتتجسَّدُ، وتتجلّى في اتّحادِ الرجلِ والمرأة، في شركتِهما واختلافِهما، لا في فردٍ منعزل. الذكورةُ تتحدّث عن الله، والأنوثةُ أيضًا.

أن نكون متساويين في الكرامةِ لا يعني أن نكون متطابقين. فنحنُ لا نكونُ "صورةَ الله" حقًّا إلّا حينَ نعيشُ اختلافَنا بطريقة تجعلنا متكاملين. والزواجُ مدعوٌّ إلى أن يكونَ المكانَ الذي تتحوَّلُ فيه الفوارقُ إلى تكاملٍ خلّاق، لا إلى ساحةِ تنافُسٍ وصِراع.

إنَّ اللقاءَ بالآخرِ يصقل قلبنا ويهيّئه لكي يحمل ثمرًا وفيرًا. فكما أنَّ الأرضَ تحتاجُ إلى عملِ الإنسانِ لتُعطيَ ثمرَها، كذلكَ يحتاج الإنسانُ إلى لقاء الآخر، لكي يُخرِجَ منه أفضلُ ما لديه. فنحن جميعًا نلجأ إلى نطاق راحتنا، وإلى توسيع دائرة الأنا بلا حدود أو نظام. لذلك وهبَنا اللهُ الآخر، ليضع أمامنا حدودًا بنّاءة؛ حدودًا تساعدنا على اكتشاف هويّتنا، وتحفظنا من أن نفقد حقيقتنا أو نتوقّف عن أن نكون ذواتنا.

غايةٌ لحياتِنا

"وباركَهُمُ اللهُ وقالَ لهم: "أنموا واكثُروا واملأوا الأرضَ وأخضِعوها".

بدأنا نفهم أنَّ الفرقَ الجوهري بين الإنسانِ وسائرِ الخليقةِ يكمُنُ في أنَّ الإنسانَ يدخُلُ في حوارٍ مع الله: يمكن لله أن يكلّم الإنسان، والإنسان يجيبه. وهكذا، بالحوارِ وبكلمةِ الله الخالِقة، يمنحُ اللهُ الزوجَينِ القدرةَ على أن يعطيا الحياة.

عندما نتحدّث عن الخصوبة، لا نعني بذلك الإنجاب فحسب، إذ "كلّ رجل وامرأة" بحدّ ذاتهما هما خصبان، قادران على منح الحياة ومدعوّان إلى أن يملآ العالم بالحياة. إنّ خصوبتنا مؤكّدة لو لم تكن بيولوجيّة.

حينَ نقرأُ كلمةَ "أخضِعوها"، لا شكَّ في أنّ "حساسيّتنا الثقافيّة تستنفر" فنظُنُّ أنَّه ينبغي إعادةُ صياغة الكلمة بشكل مقبول. غيرَ أنَّه لا بدَّ من فهمِ سيادةِ الإنسانِ على أنّها رسالةٌ أوكلَها اللهُ إليه لخدمةِ النظامِ الإلهيّ: سُلطةُ خدمةٍ، وحُسنِ تدبيرٍ، وحبّ. فطوبى لهكذا إخضاع، إذا كان يُعاش بمنطق الحبّ.

لقد جعلَنا اللهُ شبيهينَ به في تدبيرِ الخليقةِ وخدمتِها. وقد وهبَنا القدرةَ على "السيادة" لنُمارِسَ هذا التدبيرَ بحبّ وعدل: فأنا أُدبِّرُ علاقاتٍ اجتماعيّة، وأُدبِّرُ فنَّ التفويضِ وأُنشئ فرقِ فعّالة، وأُدبِّرُ أوضاعًا مُعقَّدة... فلكلٍّ منّا مسؤوليّةٌ يُمارِسُها، وشخصٌ يعتني به وبذلك نشبه الله.

إنَّ العملَ، حتّى حينَ يكون متطلّباً ومرهقاً، جميلٌ بحدّ ذاتِه ويمكن لإنسان عاطل عن العمل أن يؤكّد لنا ذلك، والأمر لا يتعلّق بالناحية الماديّة، بل عندما يشعر الإنسان بأنّ لا أحد بحاجة إليه أو "لا ينفع لشيء"، ينهار. لقد خُلِقنا لنكونَ مثمِرين، لنُولِّدَ حياةً ونخدُمَ الآخرينَ ونحفظَهم. أنا أتزوَّجُ لأخدُمَ زوجي أو زوجتي وأحميَه، ولكي نكون مُثمرين كزوجين (حتّى من دونِ أولاد)، ولكي نُنمّي، باسمِ الله، عملَ الخلق.

إنّ العائلة مدعوّة إلى أن تعطي الحياة. فمِنَ الطبيعيّ أن ننتقل من كوننا أبناء وبنات إلى إخوة وأخوات، لنصبح أخيرًا آباء وأمّهات. لكنّ مجتمعنا، الذي يبدو أنّه متأثّر بما يمكن تسميته "عقدة بيتر بان"، يدفعنا أحيانًا إلى البقاء أطفالًا: نطلُبُ، ونُطالِبُ، ونتلقّى، وننتظر أن يتكفّل بنا الآخرون، أولًا والدانا، ثم شريك حياتنا، وأحيانًا حتى أولادنا أنفسِهم، وبالأخص من مجتمعٍ يُفترَضُ به أن يمنحَنا كلَّ شيء.

إنَّ الأبوَّةَ والأمومةَ أي أن نكونَ خصبين، وأن نُولِّدَ الحياة، وأن نُدبِّر تقتضي بذلَ الذات، والتحرّر من المرجعيّة الذاتيّة. نحن بحاجة اليوم إلى آباء وأمّهات قادرين على أن يعيشوا دعوتَهم، وراشدين يكُفُّونَ عن طرح سؤال "مَن أنا؟" واستبداله بسؤال "لِمن أنا؟". في نهايةِ المطاف، الفرحُ الحقيقيُّ الوحيدُ هو ذاكَ الذي نمنحُه للآخرين، حينَ نبذُلُ حياتَنا ونموتُ عن ذاتنا.

من أقوال الأب كافاريل

"قال الله: "أيّها الزوجان المسيحيان، أنتما فخري وأملي. عندما خلقت السماء والأرض، والأجرام السماويّة العظيمة، رأيتُ في مخلوقاتي آثار كمالي، ووجدتُ أنّ ذلك كان حسنًا. وعندما أشبعتُ الأرض بالحقول والغابات، رأيتُ أنّ ذلك كان حسنًا؛ وعندما خلقتُ الحيوانات العديدة والمتنوّعة، تأمّلتُ في تلك الكائنات الحيّة المتكاثرة ووجدتُ انعكاسًا لحياتي الوافرة، ورأيتُ أنّ ذلك كان حسناً!

من كلّ مخلوقاتي، أُنشِدَت آنذاك ترنيمة عظيمة مهيبة ومبهجة تحتفي بمجدي وكمالاتي. ومع ذلك، لم أرَ في أيّ مكان صورة لما يمثّل حياتي الأكثر سريةً وأكثرها حماسًا. عندها، استيقظت في داخلي الحاجة إلى الكشف عن أفضل ما في نفسي، وكان ذلك أجمل خلقي.

وهكذا خلقتكما، أيّها الزوجان البشريّان، على صورتي ومثالي. ورأيتُ، وهذه المرّة، أنّ ذلك كان جيّدًا جدًّا. ففي وسط هذا الكون الذي يسبح فيه كلّ مخلوق مجدِي، ويحتفي بكمالي، ظهر الحبّ أخيرًا ليكشف عن حبّي.

أيّها الزوجان البشريّان، يا مخلوقيّ الحبيبان، يا شاهديّ المفضّلان، هل تدركان لمَ أنتما عزيزان عليّ من بين جميع المخلوقات؟ هل تدركان الرّجاء الكبير الذي أضعه فيكما؟ أنتما حاملا سمعتي ومجدي، وأنتما بالنسبة إلى الكون السّبب الأكبر للرّجاء، لأنّكما الحبّ.

الأب هنري كافاريل، *فرق السّيّدة في مواجهة الإلحاد*، روما، ٥ أيار ١٩٧٠.

أسئلة لتحضير واجب المجالسة

مدعوّون لكي نكون على صورة الله ومثاله وهذا يعني أن نقبل أصلنا ونفهم الطريق.

على الصعيد الشخصي:
كيف تعرّف نفسك كابنٍ لله، بعيدًا عما تفعله، وما يمكنك فعله، وما تعيشه، أو ما يتوقّعه الآخرون منك؟
متى تدرك ذلك؟
كيف يمكنك المضيّ قدمًا في الاعتراف الحقيقي بجوهر كيانك الأعمق؟
في العلاقةِ مع زوجِكَ أو زوجتِك، أو مع الآخرينَ عمومًا:
هل تعيشان الاختلافاتِ كتكامُل، أم تُعيق تقدُّمَكما معًا؟
هل يُمكِنُكَ أن تُعطيَ مثالًا؟

سَيرُ الاجتماع

نقاط للتفكير حول تبادل الخبرات

يُعَدّ تبادل الخبرات لحظة مميّزة جدًا في حياة الفرقة. فهي فرصة لمشاركة ما عاشته الفرقة خلال الشهر، من الناحية الإيمانيّة، بعمق غير معتاد في الحياة اليوميّة.
إنّ الاكتفاء بسرد ما حدث معنا يساعدنا على التعرّف على أنفسنا بشكل أفضل، لكنه لا يساعدنا على الخروج من دائرة اللحظة الآنيّة والسطحيّة التي غالبًا ما تحبسنا فيها الحياة.
ماذا اختبرنا هذا الشهر، كيف عشنا عمليًّا أو كيف واجهنا صعوبة عيش هذه الحقيقة بأننا "على صورة الله ومثاله"؟

صلاة

قراءة من سفر التكوين ٢: ١٨-٢٤
وقالَ الرَّبُّ الإلٰه: "لا يَحسُنُ أَن يَكونَ الإِنسانُ وَحدَه، فلأَصنَعَنَّ له عَونًا يُناسِبُه".
وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلٰهُ مِنَ الأَرضِ جَميعَ حَيَواناتِ الحُقول وجَميعَ طُيورِ السَّماء، وأَتى بِها الإِنسانَ لِيَرى ماذا يُسَمِّيها.
فكُلُّ ما سمَّاه الإِنسانُ من نَفْسٍ حَيَّةٍ فهوَ ٱسمُه.
فأَطلَقَ الإِنسانُ أَسْماءً على جَميعِ البهائِمِ وطُيورِ السَّماءِ وجَميعِ وحُوشِ الحُقول. وأَمَّا الإِنسانُ فلَم يَجِدْ لِنَفسِه عَونًا يُناسِبُه. فأَوقَعَ الرَّبُّ الإِلٰهُ سُباتًا عَميقًا على الإِنسانِ فنام. فأَخَذَ إِحْدى أَضْلاعِه وسَدَّ مَكانَها بِلَحْم.
وبَنى الرَّبُّ الإِلٰهُ الضِّلْعَ الَّتي أَخَذَها مِنَ الإِنسانِ ٱمرَأَةً، فأَتى بِها الإِنسان.
فقالَ الإِنسان:

"هذهِ المَرَّةَ هي عَظْمٌ مِن عِظامي ولَحْمٌ مِن لَحْمي.
هذه تُسَمَّى ٱمرَأَةً لِأَنَّها مِنِ ٱمرِئٍ أُخِذَت"
ولِذٰلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أَباه وأُمَّه ويَلزَمُ ٱمرَأَتَه فيَصيرانِ جَسَدًا واحِدًا.
(تك 2: 18 – 24)

فلنأخذ لحظة صمت، ونشكر الرب على النعمة التي منحنا إياها في شريك حياتنا.
ولنطلب من الرب النعمة لنكون حقاً "جسداً واحداً"، من خلال عيش التّكامل في حياتنا.
يمكن لمن يرغب أن يشارك في الصلاة التالية:
"أطلب من الرب أن أرى في زوجي / زوجتي... عوناً في ضعفي".
ونختتم بصلاة "أبانا الذي في السماوات".

المشاركة

نقدّم لكم بعض الأفكار حول المشاركة.
وكما هو الحال في سائر أجزاء اللقاء، استخدموا هذه الأفكار بالقدر الذي ترونه مفيدًا لكم.
ليس من السّهل أن ندرك يوميًا أننا على صورة الله ومثاله. فكلّ شيء يبدو أنّه يشير إلى عكس ذلك:
"أنت وُلدتَ بالصدفة"،
"أنت لستَ سوى مجموعة من الذرّات"،
"الآخر هو أفضل منك، ألا ترى ذلك؟"،
"لا فائدة من حياتك"،
"الحياة ليست سوى سلسلة متّصلة من الأيّام، لا أكثر"...
لهذا، تساعدنا نقاط الجهد كثيرًا على أن نتذكّر حقيقتنا العميقة، ونستبطنها، ونعيشها في حياتنا اليومية.
إنّ الإصغاء إلى كلمة الله يدخلنا في حالة البركة، وينير حياتنا، ويتغلغل إلى أعماق القلب، ليقودنا، ويُقيمنا، ويشفينا.
من هنا، تضعنا الصلاة الزوجيّة أمام ذاك الذي يوحّدنا؛ فتجدّد فينا هويّتنا كزوجين خُلِقا ليكونا صورةً لمحبّة الله، الذي نقف معًا أمامه في الصلاة.
يساعدنا واجب المجالسة على تحويل الاختلاف إلى تكامل، وعلى أن ينظر أحدنا إلى الآخر بعينيّ الله، وأن نعترف بأنّ كلًّا منّا هو عطيّة للآخر.

في أيّ جوانب ملموسة نعيش نقاط الجهد بهذه الطريقة؟

تبادل أفكار حول الموضوع

ما الذي لمسكم بشكلٍ خاص في هذا الموضوع؟

هل توجد فكرة أو نقطة ساعدتكم بشكل خاص؟

في مجتمعات الغرب في القرن الحادي والعشرين، كان يُشدَّد كثيرًا على قضايا المساواة بين الرجل والمرأة، حتى إنّ العديد من الدول أنشأت وزارات تُعنى بهذه القضيّة.

غير أنّ ثقافة "المساواة" هذه قد تُنتج أحيانًا نماذج زائفة لها، تقوم على تقاسمٍ حسابيّ دقيق للأعمال المنزلية والمسؤوليّات العائليّة، من دون مراعاة خصوصيّة كلٍّ من الرجل والمرأة واختلافهما؛ تلك الاختلافات نفسها التي جذبت أحدهما إلى الآخر وكانت سببًا في وقوعهما في الحبّ.

وبعبارة أخرى، يُدعى الإنسان إلى أن ينسى أنّ الرجل والمرأة مختلفان ومتكاملان، كما خلقهما الله، ويجعل كلّ التركيز منصبًّا على مفهوم المساواة المطلقة.

وتُثير تجارب العديد من العائلات تساؤلات حول فعاليّة هذا النمط من الحياة، الذي غالبًا ما يؤدّي إلى صراعات قائمة على المطالب وبعيدة تمامًا عن الحبّ.

في ضوء هذا التأمّل:

- كيف تعيشان، في حياتكما الزوجيّة، الاختلاف على أنّه تكاملٌ حقيقي؟
- ما هي الصعوبات التي تواجهانها في ذلك؟

إنّ سرّ الزواج الذي يوحّدنا هو دعوة أبديّة، لذلك ينبغي أن نكون يقظين تجاه كلّ ما يمكن أن يجرح علاقتنا الزوجيّة.

- ما هي المواقف أو السلوكيّات أو الممارسات التي تحمي "هذه الدعوة الأبديّة" في زواجكما؟
- وما هي الأمور التي، على العكس، تُعرّض هذه "الدعوة الأبديّة" للخطر؟

الفصل الثاني – انقطاع الشّراكة

"إنّي سمعت وقع خطاك في الجنة فخفت لأني عريان فاختبأت" (تكوين ٣: ١٠)

الأهداف

- فهم الخطيئة باعتبارها مفهومًا لاهوتيًا.
- التعرّف إلى ديناميّة الخطيئة وكيفيّة عملها.
- التنبّه إلى أنّ الخطيئة تُفسد شركتنا الزوجيّة والعائليّة وحتى في الفرقة.

قراءة الكلمة

قراءة من سفر التكوين ٣: ١–١٢

١وكانتِ الحيَّةُ أَحيَلَ جَميعِ حَيَواناتِ الحُقولِ الَّتي صنَعَها الرَّبُّ الإِلٰه. فقالَتْ لِلْمَرأَة: "أَيقينًا قالَ الله: لا تأكُلا مِن جَميعِ أَشْجارِ الجَنَّة؟" ٢فقالَتِ المَرأَةُ لِلحَيَّة: "مِن ثَمَرِ أَشْجارِ الجَنَّةِ نأكُل، ٣وأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتي في وَسَطِ الجَنَّة، فقالَ الله: لا تَأْكُلا مِنه ولا تَمَسَّاه كَيلا تَموتا". ٤فقالتِ الحَيَّةُ لِلمَرأَة: "مَوتًا لا تَموتان، ٥فاللهُ عالِمٌ أَنَّكُما في يَومِ تأكُلانِ مِنه تَنفَتِحُ أَعيُنُكُما وتَصيرانِ كآلِهَةٍ تَعرِفانِ الخَيرَ والشَّرّ". ٦ورَأَتِ المَرأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ طَيِّبَةٌ لِلأَكْلِ ومُتعَةٌ لِلعُيون وأَنَّ الشَّجَرَةَ مُنْيَةٌ لِلتَّعَقُّل. فأَخَذَت مِن ثَمَرِها وأَكَلَت وأَعْطَت أَيضًا زَوجَها الَّذي مَعَها فأَكَل. ٧فٱنفَتَحَت أَعيُنُهما فعَرَفا أَنَّهما عُريانان. فَخاطا مِن وَرَقِ التِّين وصَنَعا لَهُما مِنه مَآزِر. ٨فسَمِعا وَقْعَ خُطى الرَّبِّ الإِلٰهِ وهو يَتَمَشَّى في الجَنَّةِ عِنْدَ نَسيمِ النَّهار، فٱختَبَأَ الإِنسانُ وٱمرَأَتُه مِن وَجهِ الرَّبِّ الإِلٰهِ فيما بَيْنَ أَشْجَارِ الجَنَّة. ٩فنادى الرَّبُّ الإِلٰهُ الإِنسانَ وقالَ له: "أَيْنَ أَنتَ؟" ١٠قال: "إِنّي سَمِعتُ وَقْعَ خُطاكَ في الجَنَّة فخِفْتُ لِأَنّي عُرْيانٌ فٱختَبَأتُ". ١١قال: "فَمَن أَعلَمَك أَنَّكَ عُرْيان؟ هل أَكَلتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتي أَمَرتُكَ أَلَّا تَأكُلَ مِنها؟" ١٢فقالَ الإِنسان: "المَرأَةُ الَّتي جَعَلْتَها معي هي أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرةِ فأَكَلتُ".

تعليق

فشل مشروع بسبب "إخفاقه في بلوغ الهدف"

في الموضوع السابق، تأمّلنا وتشاركنا الحقائق الكبرى في حياتنا.

في الفصلين الأوّل والثاني من سفر التكوين، تكشف لنا رواية خلق البشريّة معنى أصلنا ورغبة الله ومشروعه الأصليّ: نشأتنا، مسيرة حياتنا، والغاية من وجودنا.

لكنّ هذه الحقيقة لا تتطابق مع ما نعيشه اليوم. فقد أصبح أصلنا مُبهَمًا، وفُتحت أمامنا مسارات زائفة من كلّ حدبٍ وصوب، وتحوّلت غاية حياتنا إلى التمحور حول الذات، مما أدّى إلى فراغ وجوديّ يصعب تحمّله في كثير من الأحيان.

فما الذي حدث إذًا؟

ننظر من حولنا فنرى الحروب، والانقسامات، والحزن، والفوضى، واليأس، وحالات الانتحار، ورفض الله، والأنانية، والاكتفاء بالذات، والفراغ .. فأين ذهب إذًا مشروع الله الأصلي؟

يبدو الجواب واضحاً: لقد تغلغلت الخطيئة في حياتنا. وهي كلمة يستخدمها كلّ من المسيحيين والمجتمع على حدّ سواء، بما في ذلك أولئك الذين يعلنون معارضتهم للإيمان. ومع ذلك، فهي كلمة كثيرًا ما أُفرغت من معناها، واستُعملت بطريقة مشوّهة، بل وفقدت في كثير من الأحيان معناها العميق والأصلي.

إنّ كلمة "الخطيئة(Hamartía) " تعني حرفيًا "أخطأ الهدف"، أي لم يبلغ الهدف المنشود.

إذا كنّا قد خُلقنا من أجل الشّراكة مع الله، فلا يجب أن نحصر مفهوم الخطيئة بالناحية الأخلاقيّة فحسب. فهي قبل كلّ شيء تُنسينا من نحن أساسًا وما الهدف من حياتنا.

فالخطيئة تشوّه أصلنا، وتُضلّنا عن الطريق، وتجعلنا نفقد رؤية الهدف من حياتنا. ولهذا السبب، من المهمّ أن نعيد قراءة هذه الكلمة بشكل وجوديّ وعلائقيّ: ففي النهاية، تهاجم الخطيئة أعمق كياننا وتفصلنا عن أنفسنا، وعن الآخرين، وقبل كلّ شيء، عن محبة الله.

وإذا نظرنا إلى الخطيئة من هذه الناحية، نفهم أنّ هذا الانفصال يشوّه مشروع الله الأصليّ. فالله الذي أراد وخلق الشّركة، وجد نفسه أمام شرخٍ عميق:

- إنّ الوحدة الكاملة بين الرجل والمرأة جُرحت بسبب الانقسام.
- تعرّضت الأخوّة للهجوم من خلال المقارنة والشكوى وازدراء الآخر، حتى الموت.
- إنّ القدرة على البناء معًا تحطّمت بسبب الرغبة في "أن نصنع لأنفسنا اسمًا"، مما يسبّب الانقسام في المجتمع.

لا يسعى النص الكتابي في سفر التكوين إلى شرح حدث ماضٍ بقدر ما يسعى إلى إلقاء الضوء على الحاضر الذي نعيشه. فهو يساعدنا على فهم حاضرنا والعيش فيه.

لنتخيّل آدم وحواء وهما يستمتعان بالحياة، ويستقبلان أيّامهما الأولى بفرح: كان كلّ شيء مخصصًا لهما، وكانت الأرض تثمر، وكانا يعيشان في سلام تامّ... هذه كانت الجنّة.

من مخلوقين على صورة الله... إلى الهروب منه

تك ٣ :١ "وكانتِ الحيَّةُ أَحيَلَ جَميعِ حَيَواناتِ الحُقولِ الَّتي صنَعَها الرَّبُّ الإِلٰه."

تظهر هنا شخصيّة جديدة: الحيّة. فهذا الحيوان الصحراويّ يتميّز بالخفاء، ويكاد يكون غير مرئيّ، ويمرّ دون أن يلاحظه أحد. ويقول الكتاب المقدّس عنه بإنّه أحيل جميع الحيوانات.

انتظرت بدهائها الاستراتيجيّ حتى تكون حوّاء بمفردها. فلو كان آدم وحوّاء معًا، لكانا على الأرجح قادريْن على المقاومة؛ لكن عندما أصبح كلّ واحد منهما معزولًا، صارا أكثر عرضةً للخداع والتضليل.

تكوين ٣ :١ "أَيقينًا قالَ الله: لا تأكُلا مِن جَميعِ أَشْجارِ الجَنَّة؟"

يبدو أنّ سؤال الحيّة فيه خطأ، لكنّه في الواقع يزرع فكرة خفيّة في اللاّوعي لدى حوّاء: إذا كان الله يمنعكما من شجرة واحدة، فكأنّه بذلك يمنعكما من جميع أشجار الجنّة؛ أي أنّه يسلبكما حرّيتكما.

تك ٣ :٢-٣ فقالَتِ المَرأَةُ لِلحَيَّة: "مِن ثَمَرِ أَشْجارِ الجَنَّةِ نأكُل، وأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتي في وَسَطِ الجَنَّة، فقالَ الله: لا تَأْكُلا مِنه ولا تَمَسَّاه كَيلا تَموتا"

تُقدَّم الخطيئة لنا وكأنّها شيء رائع وجذّاب "أثبت ذاتك، كن سعيدًا، دافع عن نفسك، افعل ما يحلو لك، استمتع..."

لقد "رأت حوّاء أَنَّ الشَّجَرَةَ طَيِّبَةٌ لِلأَكْلِ ومُتعَةٌ لِلعُيون وأَنَّ الشَّجَرَةَ مُنْيَةٌ لِلتَّعَقُّل"، فأخذت من ثمرها وأكلت. لكنّ هذه الصفات بالذات كانت موجودة في جميع الأشجار، لأنّ الله كان قد أنبت "كلّ شجرٍ شهّي للنظر وجيّد للأكل". لم تكن بحاجة إلى أن تأكل من هذه الشجرة بالذات لكنّ أحدهم دفعها إلى أن تصبح مهووسة بها.

تك ٣ :٧-٩ – فٱنفَتَحَت أَعيُنُهما فعَرَفا أَنَّهما عُريانان. فَخاطا مِن وَرَقِ التِّين وصَنَعا لَهُما مِنه مَآزِر.
٨فسَمِعا وَقْعَ خُطى الرَّبِّ الإِلٰهِ وهو يَتَمَشَّى في الجَنَّةِ عِنْدَ نَسيمِ النَّهار، فٱختَبَأَ الإِنسانُ وٱمرَأَتُه مِن وَجهِ الرَّبِّ الإِلٰهِ فيما بَيْنَ أَشْجَارِ الجَنَّة.

يختبر الإنسان العُري، فقد كان عاريًا من قبل أيضًا، لكنّ ذلك لم يكن يؤثّر فيه، لأنّه كان يشعر بحماية الله. أمّا الآن، بعد أن قطع علاقته بالله، فقد أصبح وحيدًا! إنّه يختبر الفراغ الوجودي.

سيحاول الإنسان أن يملأ هذا الفراغ، هذه الفجوة العميقة، بالأشياء وبالعواطف "فَخاطا مِن وَرَقِ التِّين وصَنَعا لَهُما مِنه مَآزِر". وهذا يدفعه إلى الانعزال عن الآخرين كوسيلة للاختباء من الواقع المخيف، لكنّ ذلك لن

يمنعه من الاستمرار في الشعور بانعدام الأمان. "فٱختَبَأَ الإِنسانُ وٱمرَأَتُه مِن وَجهِ الرَّبِّ الإِلٰهِ فيما بَيْنَ أَشْجَارِ الجَنَّة". وعندما ناداه الله أجاب: "إِنِّي سَمِعتُ وَقْعَ خُطاكَ في الجَنَّة فخِفْتُ لِأَنِّي عُرْيانٌ فٱختَبَأتُ".

تك ٣:١٢- فقالَ الإِنسان: "المَرأَةُ الَّتي جَعَلْتَها معي هي أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرةِ فأَكَلتُ".

يظهر فورًا الشعور بالذنب والأنانية، أي حبّ الذات بطريقة منغلقة وإدانة الآخر، والرجل الذي كان يحبّ زوجته كأنّها نفسه (فقد قال لتوّه "هذه من لحمي ودمي") لا يتردّد في اتّهامها حتى يعاقبها الله وينقذ نفسه. لهذا السبب، عندما تنشأ بينكما خلافات، يقع الخطأ دائمًا على الطرف الآخر: يقول الحبيب إنّ الخطأ يقع على عاتق حبيبته...، يقول الأبناء إنّ المشكلة تكمن في آبائهم الذين أصبحوا "متخلّفين" أو لا يواكبون العصر، ويقول العمّال إنّ المشكلة تكمن في رئيسهم الذي هو طاغية، ويقول العاطلون عن العمل إنّ المشكلة تكمن في الحكومة، وهكذا دواليك.

تك ٤:٣-٥ – وكانَ بَعدَ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قايِنُ مِن ثَمَرِ الأَرضِ تَقدِمةً لِلرَّبّ. ٤وقَدَّمَ هابيلُ أَيضًا شَيئًا مِن أَبْكارِ غَنَمِه ومِن دُهْنِها. ٥فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلى هابيلَ وتَقدِمتِه، وإِلى قايِنَ وتَقدِمَتِه لم يَنظُر.

لم يأتِ هذا الانقطاع بشكل عشوائيّ فقد بدأ كلّ شيء بمقارنة وبغضّ النظر ما إذا أتت النتيجة إيجابيّة أم سلبيّة، فإنّ المقارنة بحدّ ذاتها تنتقص عَظَمة هويّتنا الخاصّة والفريدة، وتجعلنا نشعر بأننا نتعرّض لمعاملة غير عادلة. قد نعيش هذه التجربة، تجربة المقارنة مع الآخرين، عند الاعتقاد بأننا لا نساوي شيئًا، فنشعر، عند النظر إلى من حولنا، بالحسد تجاههم ونشتهي ما يملكون.

في حالة قايين، قدّم "ثمرًا" لا الباكورة والأمر مختلف. فعندما أقدّم باكورة شيء ما، أجد نفسي خالي الوفاض، لأنني عندما أقدّم ما يأتي أولاً، لا أعرف إن كان يوجد ثانٍ. أمّا هابيل فقد قدّم الباكورة، ووضع ثقته في الله، وبقي خالي الوفاض أمام الله؛ في حين أنّ قايين قدّم ثمارًا، فقط، لا أكثر.

تك ٤:٥-٧ فغَضِبَ قايِنُ وأَطرَقَ رَأسَه. ٦فقالَ الرَّبُّ لِقايِن: «لِمَ غَضِبتَ ولِمَ أَطرَقتَ رأسَكَ؟ ٧فإِنَّكَ إِن أَحسَنتَ أَفَلا تَرفَعُ الرَّأس؟ وإِن لَم تُحسِنْ أَفلا تَكونُ الخَطيئَةُ رابِضةً عِندَ الباب؟ إِلَيكَ تَنقادُ أَشْواقُها، فَعَلَيكَ أَن تَسودَها».

في تلك اللحظة، من السهل أن نأخذ دور "الضحيّة"، حيث يختلط علينا كلّ شيء، وتصبح أفكارنا سامّة، فتحبسنا داخل ذواتنا وتثبط عزيمتنا.

وفي ذهن قايين، ربّما حدث شيء من هذا القبيل:

"انظر إلى ما قدّمه هابيل، إنّه أفضل من تقدِمتي. انظر كيف لاحظ الله ذلك! لا بدّ أنّه المفضّل لديه. إنّه لم يحبّني قط. أنا وحيد، ولا فائدة منّي، ولا أحد يحبّني، وحياتي لا معنى لها..."
وبمجرّد أن نستسلم وندخل في دوّامة الشرّ هذه، فإنّنا، بالرّغم من أنّ الله يقترب منّا ويهتمّ بنا، لا نعود نصغي إليه. فإنّ قايين لم يعد يستمع، إذ سبق وقطع العلاقة وأخطأ.

تك ٤:٧-٨ وقالَ قايِنُ لِهابيلَ أَخيه: "لِنَخرُجْ إِلى الحَقْل". ٨فلَمَّا كانا في الحَقْل، وثَبَ قايِنُ على هابيلَ أَخيه فقَتَلَه.

أمام انقطاع العلاقة مع الآخر، الناجم عن المقارنة والحسد والبخل، تدفعنا ديناميكيّة الخطيئة إلى اللجوء إلى آليتيّن تبدوان متعارضتين، لكنّهما وجهان لعملة واحدة: الخوف والسيطرة على الآخر.
الخوف: إذا ترسّخ في قلبي أنّ قيمتي تكمن في ما أفعله، وأن لا قيمة لي، فحالما أعترف بأنّ ما فعلته كان خطأً، سأشعر بأنّني عارٍ ومحكوم عليّ ومُدان... وسأخشى الآخر لأنّه من المستحيل أن يحبّني أحد وأنا على هذه الحال. هذه هي تجربة آدم وحواء: "فخِفْتُ لِأَنِّي عُرْيانٌ" (تك ٣: ١٠).
السيطرة على الآخر: إنّ قايين، الذي منحه الله السيادة على الحقل، ضمن إطار منطق النعمة، استخدم هذا السلطان كأنّه "مجالًا خاصًّا به"، حيث اصطحب أخاه هابيل، وفي هذا المكان بالذات الذي يمثّل سيادته، أخضعه حتى الموت: "فلَمَّا كانا في الحَقْل، وثَبَ قايِنُ على هابيلَ أَخيه فقَتَلَه" (تك ٤: ٨).

من أقوال الأب كافاريل

على الرّغم من أنّه كان مقدَّرًا له أن يبلغ أعلى المراتب، إلاّ أنّه انهار، وغالبًا ما وقع في أسوأ حالات الانحطاط. ولا ينبغي أن نبحث عن تفسير لذلك في مكان آخر سوى في الخطيئة الأصليّة. فهذه الأخيرة لم تكن مجرّد خطيئة فردية، بل كانت أيضًا خطيئة الزوجين. وعندما انقطع العهد بين الله والزوجين الأوائل، فَقَدَ الحبّ الذي كان يربط الرجل بالمرأة نقاوته الأصليّة: فهناك عامل تآكل يدمّره من الداخل؛ وقانون الجاذبية يشدّه نحو الأرض؛ كما أنّ الاستنزاف والشيخوخة يهدّدانه يومياً.
وبعد أن فسُد، أصبح مفسِداً. وكان قد جعله الله مصدر فرح وسلام وحياة وقداسة؛ بَيدَ أنّ الخطيئة جعلته سبباً للمعاناة، والمأساة، والجريمة، والموت. ونهر الحياة الذي كان من المفترض أن يخصب الأرض أصبح سيلًا مدمِّرًا.
كانت مَهمّة الحبّ الأولى أن تجمع. أمّا الحبّ الذي أفسدته الخطيئة، فتحوّل إلى عاملٍ للتفرقة والانقسام: فَصَل الإنسان عن الله، وجعله يخالف وعوده؛ وبعد أن أخضعه للعبوديّة، أبعده عن واجبه وغرّبه عن أترابه.

غرس في أعماق كيانه بذرة انقسام تثير الجسد ضدّ الروح، فتفسد كليهما.
ومع ذلك، وعلى الرّغم من أنه فَقَدَ بريقه الأصليّ، فإنّ الحبّ لم يخسر رحمته: فهو لا يستطيع أن يكتم الوعد الذي كُلِّف بحمله إلى العالم، ولا يمكن محو هذه العلامة التي وَسَمَه الله بها.
هنري كافاريل، "الخاتم الذهبي – سرّ الحبّ"، 1945.

أسئلة لتحضير واجب المجالسة

هل تستطيع أن ترى في حياتك كيف تظهر "الحيّة" في حياتك اليوميّة بأساليب خفيّة ومخادعة؟ بأيّ أكاذيب يبدأ عادةً حوار الإغواء في حالتك؟
هل تستطيع أن ترى نفسك تنتمي إلى الديناميكيّة السامّة التي تنشأ من المقارنة وتقودنا إلى الاعتقاد بأن لا شيء له معنى؟ كيف تخرج عادةً من هذه الحلقة المفرغة؟
في علاقاتكم، ما الذي يظهر أكثر: الخوف، أم السيطرة، أم كلاهما؟ هل نحن قادرون على إدراك اللحظات التي يمنعنا فيها ذلك من السماح لأنفسنا بأن نُحَب، ويؤدّي بنا إلى الانعزال عن كلّ شيء وعن الجميع؟

سَير الاجتماع

نقاط للتفكير حول تبادل الخبرات

المشاركة هي لحظة مميّزة جدًا في حياة الفرقة. فهي تتيح لنا أن نتشارك أحداث حياتنا اليوميّة، التي عشناها خلال هذا الشهر، انطلاقًا من نظرة إيمانيّة.
إنّ الاكتفاء بما حدث لنا قد يساعدنا بالتأكيد على التعرّف على أنفسنا بشكل أفضل، لكنّه لا يساعدنا على الخروج من دائرة اللحظة الراهنة والسطحيّة التي تحصرنا الحياة فيها.
متى شعرنا بأننا تعرّضنا بشكل خاص للتجربة خلال هذا الشهر؟ وكيف عشنا هذه المواقف؟

المشاركة

نقترح عليكم بعض المسارات للمشاركة؛ وكما في سائر الأمور، استخدموها بالقدر الذي ترونه مفيدًا لكم.
فنقاط الجهد تصبح العون الضروري لكي "لا ندخل في التجربة".
إنّ الإصغاء إلى كلمة الله هو النور الذي يمكّننا من التمييز بين صوت الحيّة التي تجعلنا نشعر بأننا ضحايا، وصوت الراعي الصالح الذي يدعونا إلى المحبّة.

وتتيح لنا الصلاة الزوجية أن نتعرّف إلى "عُرينا" في إطار مقدّس. فعندما نجد أنفسنا قد وقعنا في التجربة، نشعر بالخوف، ونحسّ بأننا ضعفاء ومعرّضون، وعاجزون عن أن نسمح لأنفسنا بأن نُحَبّ. ويمكن أن تكون الصلاة الزوجيّة هذا المكان المقدّس الذي نشعر فيه بأننا محبوبون.

ويساعدنا واجب المجالسة على ألّا نواجه التجربة وحدنا، كما فعلت حوّاء. ففيه نتقوّى لكي نحارب الشرّ بأسلحة الإيمان.

تحدّثوا عمّا إذا كانت نقاط الجهد، خلال هذا الشهر، قد ساعدتكم على عيش خبرة الانتصار في الجهاد الروحي الذي نخوضه.

صلاة

قراءة من سفر التكوين (٤:١-٨)

١وعَرَفَ الإنسانُ حَوَّاءَ ٱمرَأَتَه فحَمَلَت ووَلَدَت قايِن. فقالَت: "قَدِ ٱقتَنَيتُ رَجُلًا مِن عِندِ الرَّبّ". ٢ثُمَّ عادَت فوَلَدَت أَخاهُ هابيل. فكانَ هابيلُ راعِيَ غَنَم، وكانَ قايِنُ يَحرُثُ الأَرض. ٣وكانَ بَعدَ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قايِنُ مِن ثَمَرِ الأَرضِ تَقدِمةً لِلرَّبّ. ٤وقَدَّمَ هابيلُ أَيضًا شَيئًا مِن أَبْكارِ غَنَمِه ومِن دُهْنِها. ٥فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلى هابيلَ وتَقدِمتِه، وإِلى قايِنَ وتَقدِمَتِه لم يَنظُر. فغَضِبَ قايِنُ وأَطرَقَ رَأسَه. ٦فقالَ الرَّبُّ لِقايِن: "لِمَ غَضِبتَ ولِمَ أَطرَقتَ رأسَكَ؟ ٧فإِنَّكَ إِن أَحسَنتَ أَفَلا تَرفَعُ الرَّأس؟ وإِن لَم تُحسِنْ أَفلا تَكونُ الخَطيئَةُ رابِضةً عِندَ الباب؟ إِلَيكَ تَنقادُ أَشْواقُها، فَعَليكَ أَن تَسودَها". وقالَ قايِنُ لِهابيلَ أَخيه: "لِنَخرُجْ إِلى الحَقْل". ٨فلَمَّا كانا في الحَقْل، وثَبَ قايِنُ على هابيلَ أَخيه فقَتَلَه.

* لنأخذ لحظة صمت ولنعترف كيف عشنا طوال هذا الشهر في جوّ من المقارنة والحسد.
* لنطلب من الرب أن يمنحنا القدرة على الخروج من دائرة الغضب والإحباط.
* يمكن لمن يرغب أن يشارك بالصلاة التالية: "أسأل الربّ أن يساعدني على أن أميّز اللحظات حين... (أذكرها)، وأطلب منه المساعدة للتخلّص منها".

ونختتم بتلاوة الصلاة الربّيّة "أبانا الذي في السماوات".

حوار حول الموضوع – بعض الأفكار

* انطلاقاً من الموضوع، هل تفهمون الخطيئة على أنّها "إخفاق في إصابة الهدف"؟ وهل كنتم تفهمونها بهذه الطريقة من قبل؟

* أحد أكبر الأخطار الروحيّة هو الاعتقاد بأننا لا نتعرّض للإغراءات، وأنّ الروح الشريرة غير موجودة... كيف تعيشون التجارب بوصفها جهادًا روحيًا؟

* كيف تفهمون أنّ الخطيئة، في الحياة الملموسة واليوميّة، تَكسر الشّركة مع الله، ومع الزوج أو الزوجة، ومع العائلة؟

الفصل الثالث – ديناميّات الخطيئة العائليّة

"فأَرسَلَني اللهُ قُدَّامَكم لِيَجعَلَ لَكم بَقِيَّةً في هٰذه الأَرض ولِيُحيِيَكم، لِنَجاةٍ عظيمة" (تك ٤٥: ٧)

الأهداف

- التعرّف إلى كيفيّة تدخُّل الله في التاريخ الحقيقي للعائلة، وجعل حضوره فاعلًا فيه.
- فهم ديناميّات الخطيئة وأشكالها التي تتسلّل إلى علاقاتنا وتترسّخ فيها.
- تقديم الشكر لله على صبره وطول أناته مع مختاريه.
- إدراك كيف أنّ إله التاريخ يصنع كلّ شيء جديدًا، ويجعل المصالحة ممكنة.

قراءة الكلمة

قراءة من سفر التكوين ٤٥، ٤–١٥

٤فقالَ يوسفُ لإِخوَتِه: «تَقَدَّموا إِلَيَّ» فتَقَدَّموا. فقال: «أَنا يوسفُ أَخوكمُ الَّذي بِعتُموه لِلمِصرِيّين. ٥والآن فلا تكتَئِبوا ولا تَغضَبوا لِأَنَّكم بِعتُموني هُنا، فإِنَّ اللهَ قد أَرسَلَني أَمامَكم لِأُحيِيَكم. ٦وقَد مَضَت سَنَتا مَجاعةٍ في وَسَطِ الأَرض، وبَقِيَت خَمْسُ سِنينَ دونَ حَرْثٍ ولا حِصاد. ٧فأَرسَلَني اللهُ قُدَّامَكم لِيَجعَلَ لَكم بَقِيَّةً في هٰذه الأَرض ولِيُحيِيَكم، لِنَجاةٍ عظيمة. ٨فالآن لم تُرسِلوني أَنتُم إِلى هٰهُنا، بَلِ اللهُ أَرسَلَني وهو قد صَيَّرَني كأَبٍ لِفِرعَون وكسَيِّدٍ على بَيتِه كُلِّه وكمُتَسَلِّطٍ على كُلِّ أَرضِ مِصْر.

٩فأَسرِعوا وٱصعَدوا إِلى أَبي وقولوا لَه: «كَذا قالَ ٱبنُكَ يوسف: قد جَعَلَني اللهُ سَيِّدًا لِجَميعِ المِصرِيّين، فٱنزِلْ إِلَيَّ ولا تُبطِئْ. ١٠فتُقيمُ في أَرضِ جاسان، وتَكونُ قَريبًا مِنِّي أَنتَ وبَنوكَ وبَنو بَنيكَ وغَنَمُكَ وبَقَرُكَ وكُلُّ ما هو لَكَ. ١١وأَعولُكَ هُناك، إِذ قد بَقِيَ خَمْسُ سِنينَ مجاعةً، لِئَلَّا يَنالَكَ العَوَز، أَنتَ وأَهلُكَ وكُلُّ ما هو لَكَ. ١٢وها إِنَّ عُيونَكم وعَينَي أَخي بَنْيامينَ تَرى أَنَّ فَمي هو الَّذي يُخاطِبُكم. ١٣فأَخبِروا أَبي بِكُلِّ مَجْدي في مِصْر وبِكُلِّ ما رَأَيتُموه، وأَسرِعوا فٱنزِلوا بِأَبي إِلى هٰهُنا".

١٤ثُمَّ أَلْقى بِنَفْسِه على عُنُقِ بَنْيامينَ أَخيه فبَكى، وبَكى بَنْيامينُ على عُنُقِه. ١٥وقَبَّلَ سائِرَ إِخوَتِه وبَكى على أَعْناقِهِم. وبَعدَ ذٰلك تَحدَّثوا إِلَيه.

تعليق

تُعَدّ العلاقة الأخويّة من بين أكثر العلاقات تعقيدًا في تاريخ الخلاص بأسره. وكثيرًا ما نكتشف كيف يمكن للأخوة أن يتحوّلوا إلى ذئاب في حياة بعضهم البعض.

هذا الصراع ليس مجرّد مسألة شخصيّة أو نفسيّة: إنه جرح ينتقل من جيل إلى جيل، نوع من "الخطيئة الأصليّة" التي تشوّه الطريقة التي يتعامل بها البشر مع بعضهم البعض.

والمثير للدهشة هو أنّ الله يحقّق تاريخ خلاصه في خضمّ هذا الواقع المجروح. فعائلة إبراهيم بالذات — التي هي أبعد ما تكون عن الكمال — هي التي اختارها الله أداةً لمشروع محبّته للبشريّة جمعاء.

لَربّما نرتبك عندما نكتشف في سلوك إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقة ويعقوب سلوكيّات تتعارض مع ما نتوقّعه من "عائلة اختارها الله"، ففي حياتهم تكثر الغيرة، والخداع، والخيانة، والعنف. ومع ذلك، تعلّمنا هذه القصة أنّ الله لا يخطئ في اختيار العائلة: فهو يختار أشخاصًا حقيقيين، ضعفاء، مجروحين، لكنّهم منفتحون على نعمته.

في الصفحات التالية، سنتتبّع مسيرة ثلاثة أجيال — إبراهيم وإسحق ويعقوب — لنكتشف كيف أنّ الله، على الرَّغم من الخطيئة، يكتب بشكل مستقيم على سطورٍ ملتوية.

إبراهيم: بداية تاريخٍ مليء بالجراح

يبدأ تاريخ الخلاص مع إبراهيم، الذي دعاه الله إلى أن يترك أرضه ويتّكل على وعده. ومع ذلك، حتى في ابراهيم — "أبو الإيمان" — تتجلّى هشاشة الإنسان. فبسبب الخوف، كذب وسلّم زوجته سارة إلى فرعون، لينقذ حياته هو (تك ١٢، ١٠-٢٠).

أما سارة، فدفَعَها نفاد الصبر واليأس بسبب عُقمها، لتقدّم جاريتها هاجر لكي تنجب ابنًا من إبراهيم. ولكن عندما حبلت هاجر، امتلأت سارة بالغيرة وطردتها إلى الصحراء مع ابنها إسماعيل. ولم يمنع موتهما سوى تدخّل الله (تك ٢١، ٨-٢١).

وينشأ إسحق، ابن هذه القصة، وهو يرى كيف يُقصى أخوه، وكيف أنّ تفضيل والديه يشرذم الأسرة ويجرحها. وهكذا، منذ البداية، إنّ العائلة التي دعاها الله لتكون بركةً تحمل في داخلها جرحَ انقسام، سيترك أثره في الأجيال اللّاحقة.

يعقوب وعيسو

تزوّج إسحق من رفقة، لكنها كانت هي أيضًا عاقرًا. فصلّى إسحق إلى الرب من أجل زوجته، فاستجاب الله لصلاته: وحبلت رفقة بتوأم. ومنذ البداية، كان الحمل محفوفًا بالصراع: كان الطفلان يتصارعان في بطنها. فشعرت رفقة بالقلق، واستشارت الرب، فكشف لها سرّ أمومتها:

"في جَوفِكِ أُمَّتان، ومِن أَحشائِكِ يَتَفَرَّعُ شَعْبان: شَعْبٌ يَقْوى على شَعْب والكَبيرُ يَخدُمُ الصَّغير" (تك ٢٥، ٢٣).

وعندما حان وقت الولادة، خرج عيسو أولًا، وكان شعره كثيف وأحمر اللون؛ وتلاه يعقوب، قابضًا بعقب أخيه. وهذه الصورة —شقيقان بينهما توتّر وصراع منذ أن كانا في الرحم — تنبئ بالصراع الذي سيطبع تاريخهما وتاريخ نسلهما.

ومع مرور الوقت، ازدادت الفوارق بين الأخوين: صار عيسو صيادًا ورجلَ البرية، أما يعقوب فهو أكثر هدوءًا، ومحبًّا للحياة المنزلية.

كان إسحق يفضّل عيسو، في حين كانت رفقة تحبّ يعقوب. ومرّة أخرى، يؤدّي التفضيل إلى انقسام داخل الأسرة.

ذات يوم، وبينما كان يعقوب يُعدّ حساءً، عاد عيسو من الحقل منهكاً وجائعاً. فقال: "دَعْني أَلتَهِمُ مِن هٰذا الأَحمَر، فإِنّي قد أُرهِقتُ". فأجابه يعقوب: "بِعْني اليَومَ بِكرِيَّتَكَ". فوافق عيسو، الذي كان الجوع يسيطر عليه .ويختتم الكتاب المقدّس هذه الحادثة بعبارة قاسية: "وهٰكذا ٱستَخَفَّ عِيسو بالبِكرِيَّة" (تك ٢٥: ٣٤)

لكنّ الصراع لم يتوقّف عند هذا الحدّ. ففي وقت لاحق، وبمساعدة أمّه، خدع يعقوب أباه، وحصل على البركة التي كانت مخصّصة لأخيه. فكَلَّمَت رِفقَةُ يَعقوبَ ٱبنَها قائلَةً: "إِنّي قد سَمِعتُ أَباكَ يُكَلِّمُ عِيسوَ أَخاكَ قائلًا: ٧إِئتِني بِصَيدٍ وأَعدِدْ لي أَلْوانًا طَيِّبَةً فآكُلَ مِنها وأُبارِكَكَ أَمامَ الرَّبِّ قَبلَ مَوتي. ٨والآنَ يا بُنَيَّ، اِسمَعْ لِقَولي في ما آمُرُكَ بِه: ٩اِمْضِ إِلى الغَنَم وخُذْ لي مِن هُناكَ جَديَينِ مِنَ المَعِزِ جَيِّدَين، فأُعِدَّهُما أَلْوانًا طَيِّبَةً لِأَبيكَ كما يُحِبّ، ١٠فتَأتي بِها أَباكَ ويأكُل، لِكَي يُبارِكَكَ قَبلَ مَوتِه " (تك ٢٧، ٦–١٠)

يبارك إسحق، وهو أعمى ومتقدّم في السن، الابن الخطأ. وعندما يكتشف الخدعة، لا يسحب البركة، بل يقبلها على أنّها نهائية. غضب عيسو وأقسم على قتل يعقوب، فهرب هذا الأخير إلى أرض خاله لابان. وهكذا، تسبّب الخداع مرة أخرى في الانفصال بين الأخوين: تكرّر ميراث إبراهيم. (تكوين ٢٧: ١٨–٤٦ وتكوين ٢٨: ١–٩)

وصل يعقوب إلى بيت لابان خاله، ووقع في حبّ راحيل، ابنته الصغرى. فوافق على أن يعمل سبع سنوات من أجلها، لكنّ لابان خدعه ليلة العرس، وأعطاه ليئة، أختها الكبرى، زوجةً له. فمن خدع أوّلاً صار الآن مخدوعًا؛ وهكذا يأخذ التاريخ منحى من العدالة والتعلّم. (تك ٢٩، ٢١-٣٠)

عمل يعقوب سبع سنوات أخرى ليتزوّج راحيل أيضًا، وهكذا تكوّنت أسرة اتّسمت بالتّنافس والرغبة في التقدير. وفي مجتمع كانت فيه الأمومة تضمن للمرأة قيمتها ومكانتها، تنافست ليئة وراحيل على إنجاب الأبناء ليعقوب. وأمام العقم، قدّمت كلّ واحدة منهما جاريتها — زلفة وبلهة — لينجبا نسلًا باسمها. (تك ٣٠)

ومن هؤلاء النساء الأربع وُلد أبناء يعقوب الاثني عشر، أسباط إسرائيل الاثني عشر. وهنا تأخذ القصّة منعطفًا: فلم يعد هناك إقصاء، لأن جميع الأبناء ينالون البركة. وينفتح الوعد على الجميع، حتى على الذين وُلدوا من الجواري. فاختيار الله لا يقوم على الاستحقاقات البشرية، بل على رحمته. (تك ٣١)

يوسف وإخوته: تتكرّر القصّة للمرّة الأخيرة

من بين الأبناء الاثني عشر، يحتلّ يوسف — بكر راحيل، الزوجة المحبوبة — مكانةً مميّزة في قلب أبيه. فقد أحبّه يعقوب أكثر من سائر أبنائه، وأهداه قميصًا طويلَ الأكمام، علامةً على التمييز والتفضيل. "ورأَى إِخوَتُه أَنَّ أَباه يُحِبُّه على جَميعِ إِخْوَتِه، فأَبغَضوه ولم يَستَطيعوا أَن يُكَلِّموه بِمَوَدَّة". (تك ٣٧، ٤)

وكان يوسف يرى أحلامًا نبويّة، يرى فيها إخوته يسجدون أمامه. فزادت هذه الأحلام من حقدهم عليه. وتآمر الإخوة على قتله، لكنّهم في النهاية باعوه لتجّار حملوه إلى مصر: "تَعالَوا نَبيعُه لِلإِسْماعيلِيّين ...أَنَّه أَخونا ولَحمُنا" (تك ٣٧، ٢٧)

ومرّة أخرى، تتكرّر المأساة العائليّة نفسها: التفضيل، والحسد، والخداع، والعنف بين الإخوة. لكن هذه المرة، ستأخذ القصّة منعطفًا جديدًا.

في مصر، عانى يوسف من العبوديّة والافتراء والسجن. غير أنّ موهبته في تفسير الأحلام قادته إلى فرعون، الذي عيّنه حاكمًا على مصر كلّها.

عندما حلّت المجاعة، نزل إخوة يوسف إلى مصر بحثاً عن الطعام، دون أن يتعرّفوا عليه. فاختبرهم يوسف، ثم كشف عن هويّته في النهاية قائلاً: "أَنا يوسفُ أَخوكمُ الَّذي بِعتُموه لِلمِصريّين. ٥والآن فلا تَكتَئِبوا ولا تَغضَبوا لِأَنَّكم بِعتُموني هُنا، فإِنَّ اللهَ قد أَرسَلَني أَمامَكم لِأُحيِيَكم" (تك ٤٥: ٤-٥).

غفر يوسف، واحتضن إخوته، وخلّصهم. وهكذا تحوّل تاريخ العنف والضغينة إلى مصالحة وحيث الكراهية، حلّت الرحمة. مع يوسف، يتوقّف الشرّ الموروث، ويفتح الغفران آفاقًا لبداية جديدة.

يوسف، صورةٌ مسبقة للمسيح

تستبق قصة يوسف قصّة يسوع. فحياته هي نبوءة حقيقيّة متجسّدة في الأفعال.

يوسف هو الابن المحبوب ليعقوب؛ ويسوع هو الابن الحبيب للآب. بيع يوسف مقابل قطع من الفضّة؛ ويسوع أيضًا أُسلم مقابل المال. اتُّهم يوسف ظلمًا وسُجن؛ ويسوع حُكم عليه بالرغم من براءته .

أعطى يوسف الخبز لشعبه؛ ويسوع قدّم ذاته كخبز الحياة.

وفي يوسف تتحقّق صورة عبد الرب المتألّم التي أعلنها إشعيا (إش ٥٣): "مزدرًى ومتروكٌ من الناس رجل أوجاعٍ... عومل بقسوةٍ فتواضع ولم يفتح فاه".

وكما أنّ يوسف خلّص شعبه من الجوع، فإنّ المسيح يخلّص البشريّة جمعاء من الخطيئة والموت.

مع يوسف، تنكسر سلسلة الغيرة والأكاذيب والعنف. فغفرانه يتغلّب على لعنة الإرث العائلي، ويفتح أفقَ إنسانيّة جديدة متصالحة. فالله، مرّة أخرى، يدوّن بكتابة مستقيمة على سطورٍ ملتوية. إنّ محبّته تحوّل الخطيئة إلى خلاص، والألم إلى وعد، والجرح إلى بركة.

واليوم أيضًا، تستطيع عائلاتنا — المثقَلَة بالتوتّر والجراح أو الصمت — أن تجد في يوسف مرآةً ورجاءً. فالتاريخ لا ينتهي عند الصراع: الكلمة الأخيرة هي للرحمة.

"ربما لا نتنبه غالبًا بأنّ العائلة هي بالتحديد التي تُدخل الأخوّة الى العالم! فمن خلال هذه التجربة الأولى من الأخوّة، والتي تغذّت بالعاطفة والتعليم العائلي وبنمط الأخوّة، يسطع مثل وعد جميل على المجتمع بأكمله" (فرح الحبّ، ١٩٤).

يوسف، صورة المسيح المصلوب والقائم من بين الأموات، يوقف مسار الشرّ في التاريخ، ويفتح الطريق أمام المحبّة التي تفتدي. وفيه يتحقّق الوعد الأخير: "هاءنذا اجعل كلّ شيء جديدًا" (رؤ ٢١، ٥).

وهكذا، في قلب عائلاتنا نفسها، يواصل الله كتابة تاريخ خلاصه.

من أقوال الأب كافاريل

قلب أبويّ

لقد رأينا للتوّ كيف يتعلّم الوالدان من طفلهما المواقف التي يريد الآب السماوي أن يجدها فيهما. وليس هذا الخير الوحيد الذي يدينان له به؛ فبفضل طفلهما يكتسبان قلب أب وقلب أمّ. فليصغيا إلى هذا القلب، وسيدركان فيه خفقان قلب آخر: قلب الله. وقد اختبر أحد الآباء ذلك بنفسه. يقول: "في ذلك اليوم، كنت قد سألت ابنتي ذات السنوات التسع: "حسنًا، هل أنهيتِ دروسك؟" فأجابت مونيك مترددّة: "نعم". وفي الساعة

الحادية عشرة ليلًا، دخلت غرفة البنات لأتأكّد من أنهنّ نائمات جيداً. وعلى الكرسي المجاور لسرير مونيك، وجدت لوحًا صغيرًا، كتب عليه (مع الحفاظ على التهجئة الأصلية):

"أبي، أنا آسفة لأنني كذبت عليك عندما قلت لك إنني راجعت دروسي، فهذا ليس صحيحًا. لذلك أطلب منك أن تسامحني على ما فعلت، وسأحاول ألّا أكرّر ذلك. أنا أشعر بإحراج شديد، وكنت أتمنّى أن أقول لك الحقيقة، لكنّني أفضّل ألّا أقول لك أشياء كثيرة، لأنني لا أريد أن أسبّب لك الكثير من الحزن. يمكنك إيقاظي إذا أردت لتتحدّث معي عن هذا الأمر، لكن لا تطيل في الحديث، وسأكون سعيدة جدًا إذا فعلت ذلك. تصبح على خير يا أبي... مونيك".

بعد أن قرأت ما كتبته، محوت كتابة ابنتي وأجبتها على اللوح نفسه:

"مونيك صغيرتي الحبيبة، أنا أحبّك كثيرًا، كثيرًا، لأنّك كتبتِ إليّ لتطلبي منّي المغفرة. وأنا أسامحك بفرح وسعادة كبيرين، لأنني رأيتُ أنك تطلبين مني المغفرة لأنك تحبينني. وبالتأكيد، ليس من الصواب أن يكذب الإنسان؛ لكن بما أنك اعترفتِ به وطلبتِ المغفرة، فقد مُحي الأمر وكأنك لم تكذبي قط. وكلّما ندمتِ لأنك سبّبتِ لي الحزن وطلبتِ مني المغفرة، فسأسامحك، حتى لو تكرّر ذلك كثيرًا. هكذا يفعل الله الصالح، لأنه يحبّنا.

"لقد أردت أن أوقظك ليلة أمس، كما طلبتِ مني، لكنني لم أستطع، فقد كنتِ نائمة نومًا عميقًا. لذلك أسرعت في كتابة هذه الرسالة لكي تجديها عند استيقاظك، وتعرفي فورًا أنني قد سامحتك.

أنا أحبّك كثيرًا يا ابنتي الكبيرة الحبيبة. واصلي بذل جهودك الكبيرة: إنّ أبي وأمي ويسوع فرحون. أقبّلك بكل قوتي. أبوكِ."

قال لي ذلك الأب بإنّ مشاعر قلبه في تلك الليلة كانت بمثابة نور رائع له لِفهم أبوّة الله. وكم كان يحمل هذا اللوح رمزًا رائعًا! ما الذي يبقى إلى الأبد من خطيئة غفرها الله لنا؟ لا شيء، بل بدلاً من ذلك، مظهر آخر من مظاهر رحمة الآب العجيبة. "يا لها من خطيئة مبارَكَة!" كما تنشد الليتورجيا الفصحية.

المسيح نفسه، إن جاز لي القول، قد أرشد الآباء إلى هذا المسار: إذ قال: "فإِذا كُنتُم أَنتُمُ الأَشرارَ تَعرِفونَ أَن تُعطوا العَطايا الصَّالِحَةَ لِأَبنائِكم، فما أَولى أَباكُمُ السَّماوِيَّ بِأَن يَهَبَ الرُّوحَ القُدُسَ لِلَّذينَ يسأَلونَه" (لو ١١، ١٣).

"الخاتم الذهبي"، أيار–آب ١٩٦٣، الزواج، هذا السرّ العظيم

أسئلة لتحضير واجب المجالسة

عندما تختبر في عائلتك آلامًا أو تناقضات أو ظروفًا صعبة وغيرها، كيف تلاحظ أنك تشكّ وتفقد الثقة في أنّ الله يصنع تاريخ خلاص حقيقيًّا؟ هل يمكنك أن تذكر مثالًا عشت فيه هذا الشكّ أو عدم الثقة؟

هل تلاحظ وتكتشف في زواجك، أو لدى أطفالك، أو لدى إخوتك، انتقال بعض الديناميّات — مثل السلوكيّات، والمواقف، والجروح، أو المعاناة — التي سبق أن رأيتها لدى والديك أو عشتها مع إخوتك؟ هل تعتقد أنه قد يكون حدث، دون قصد، تغيّر في طرق التعامل هذه من جيل إلى آخر؟

هل تعتقد أنك تستطيع أن تكون مثل يوسف بالنسبة إلى عائلتك؟ أُذكر أمثلة عن المواقف التي واجهتها في عائلتك. هل تستطيع أن توقف موجة الكراهية، والضغينة، والحقد، والانقسام، والصراع، والانتقاد، والحكم على الآخرين، والحسد، وما إلى ذلك، في عائلتك؟ كيف ذلك؟ هل يمكنك إيقاف سلسلة الشرّ والمعاناة التي ربما تعيشونها حاليًا في عائلتك وبيتك؟ كيف؟ ما تعتقد أنك قادر على فعله؟

سَير الاجتماع

نقاط للتفكير حول تبادل الخبرات

المشاركة هي لحظة مميّزة جدًا في حياة الفرقة. فهي تتيح لنا أن نتشارك أحداث حياتنا اليوميّة، التي عشناها خلال هذا الشهر، انطلاقًا من نظرة إيمانيّة.

إنّ الاكتفاء بما حدث لنا قد يساعدنا بالتأكيد على التعرّف على أنفسنا بشكل أفضل، لكنه لا يساعدنا على الخروج من دائرة اللّحظة الراهنة والسطحيّة التي تحصرنا الحياة فيها.

في أيّ من المواقف التي عشناها خلال هذا الشهر، اختبرنا أنّ "التاريخ يعيد نفسه"، ومع ذلك، نكتشف أنّ الله يشقّ الطريق وسط الصعوبات؟

المشاركة

نقترح عليكم بعض المسارات للمشاركة؛ وكما في سائر الأمور، استخدموها بالقدر الذي تساعدكم فيه. فنقاط الجهد تساعدنا لكي نسمح لله بأن "يصنع كلّ شيء جديدًا".

كيف تساعدنا نقاط الجهد على ألّا نكرّر تلقائيًا الديناميّات الموروثة من تاريخنا العائلي، مثل الصمت، والمقارنات، والأحكام، والضغائن، والهروب...؟

إنّ الإصغاء إلى كلمة الله يساعدنا على أن نكتشف كيف يكتب الربّ قصّة حبّه حتى في أوقات الصراع أو البعد أو سوء الفهم. ومن خلال الكلمة، نتعلّم أن ننظر إلى تاريخ عائلتنا بعيني الله، الذي لا يتوقّف عند الخطيئة أو الضعف، بل يحوّلهما إلى طريق خلاص.

في أيّ لحظات ساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله على أن نعيد قراءة موقف عائلي مؤلم من منظور الإيمان، لا من منظور الجرح وحده؟ وهل تغيّر شيء ما في نظرتنا أو في ردّة فعلنا؟

إنّ الصلاة الزوجيّة هي المكان الذي نستطيع فيه، مثل يعقوب، أن نضع أمام الله صراعاتنا ونسمح له بأن يباركنا. هناك، يصبح الزواج أرضًا مقدّسة: نضع أمام الربّ جراحنا واختلافاتنا وتعبنا، ونسمح لمحبّته بأن تصالحنا.

وتعلّمنا الصلاة الزوجيّة أن ننظر إلى الآخر كعطيّة، لا كمنافس؛ وأن نطلب المغفرة ونغفر؛ وأن نسمح للربّ بأن "يصنع كلّ شيء جديدًا".

كيف تساعدنا الصلاة الزوجيّة على أن نضع أمام الله القصص التي لا نفهمها، والجراح التي تعود إلى زمن بعيد، أو النزاعات المتكررة، من دون أن نشعر بالذنب أو نستسلم للأمر الواقع؟

يساعدنا واجب المجالسة على تجنّب تكرار قصص الانقسام أو الصمت أو الضغينة التي نحملها أحيانًا من عائلاتنا. فهو وقتٌ نتحدّث فيه ببساطة، ونصغي بعضنا إلى بعض من القلب، ونميّز معًا كيف يريد الله أن يعمل في تاريخنا.

وكما تعلّم يوسف مع إخوته، نتعلّم أن نكسر دائرة الشرّ بقوّة المحبّة، وأن نتعرّف إلى عمل الله حتى في الأمور التي سبّبت لنا الألم.

في واجب المجالسة، هل نحن قادرون على التحدّث عن تاريخ عائلتنا بصدق ورحمة، دون توجيه الاتهامات، وتبرير أنفسنا، ودون الهروب؟ وما الثمار الملموسة التي نكتشفها عندما نقوم بذلك؟

الصلاة

نقرأ النصّ الكتابي المقترَح لهذا الفصل.

لنأخذ بعض لحظات الصمت، ولنسمح لمشهد المصالحة هذا بأن يلامس تاريخنا الشخصي. فمثل يوسف، نحمل نحن أيضًا جراحًا تعود إلى زمن بعيد: سوء تفاهم، ومقارنات، وأحكام، وكلمات لم تُقَل...

لنطلب من الربّ نعمة أن ننظر إلى تاريخ عائلتنا وزواجنا بعينيه، مكتشفين أنّه، حتى في أكثر الأمور إيلامًا، كان يعمل ليهبنا الحياة.

يمكننا أن نصلّي بصوت عالٍ بكلمات بسيطة، مثل:

"أشكر الربّ على كلّ مرّة أخرج من الشرّ خيرًا في تاريخنا..."
"أطلب من الربّ نعمة أن أغفر وأن أسمح للآخرين بأن يغفروا لي، كما فعل يوسف مع إخوته..."
"أضع بين يدي الرب هذا الجرح في عائلتنا، لكي يحوّله إلى بركة..."
(نترك بعض الوقت للصمت أو للصلاة العفويّة لأعضاء الفرقة)

نصلّي جميعًا معًا
يا ربّ يسوع، يا من حوّلت الخيانة إلى خلاص، وحوّلت دموع يوسف إلى عناق ومغفرة، ادخل أنت أيضًا في تاريخ عائلتنا. امنحنا نعمة أن نتعرّف إلى يدك في كلّ ما نعيش، وأن نغفر بعضنا لبعض من دون شروط، وأن نكتب معك تاريخًا جديدًا.
اجعل عائلاتنا تكون علامةً على محبّتك التي تصالح، وقادرةً على أن توقف الشرّ بالخير، وأن تعلن أنّك، حتى على سطور الحياة الملتوية، تواصل كتابة تاريخ خلاصك.
آمين.
نختتم بتلاوة الصلاة الربّيّة: "أبانا الذي في السماوات".

حوار حول الموضوع – بعض الأفكار
خلال هذا الشهر، يمكن أن تساعدنا نقاط الجهد هذه على استذكار تاريخ عائلتنا وحياتنا الزوجيّة في ضوء الكلمة. انطلاقًا منها، يمكننا أن نتشارك ضمن الفرقة ونناقش النقاط التالية أو تلك التي ترونها الأنسب لفرقتكم.
يمكننا أن نسأل أنفسنا:
– ما الذي لفت انتباهك في هذا الموضوع المقترَح؟
– انطلاقًا من ذلك، هل استطعت أن تنظر إلى تاريخك وتاريخ عائلتك بعين الرحمة؟
– تحتلّ شخصية يوسف مكانة محوريّة في هذا الفصل. أيّ سمة من سمات شخصيته — الصبر، وقراءة التاريخ بعين الإيمان، والغفران، والقدرة على ألّا يردّ الشرّ بالشرّ... — أثّرت فيك أكثر؟ ولماذا؟
– بعد دراسة هذا الموضوع، ما هو الرجاء الجديد الذي تكتشفه لعائلتك، حتى في المواقف التي ترى فيها قيودًا أو جروحًا أو مواقف تبدو مستعصية الحلّ؟

الفصل الرابع – العودة إلى الشّراكة

"وأَخطُبُكِ لي لِلأَبَد" هوشع ٢:٢١

الأهداف

– فهم العلاقة العميقة بين الدّين الواحد والزواج الأحاديّ كتعبير عن محبّة الله الفريدة والمُخلِصة التي تنعكس في الزواج.

– التعرّف إلى دائرة عدم الأمانة والمصالحة في تاريخ إسرائيل، وكيف ينعكس هذا المسار ويتجسّد في الحياة الزوجيّة والعائليّة.

– تحديد الركائز الأساسيّة للحبّ الزوجيّ وتعميقها: الأمانة، والذاكرة، والغفران، وفهم أهميّتها، والنموّ في إطار العهد الزوجيّ.

– تعزيز الثقة في عمل الله المُغيّر في عيش الجراح والصعوبات العائليّة، مما يمهّد الطريق أمام المصالحة وعيش تاريخ خلاص يتجلّى في الحياة اليوميّة.

قراءة الكلمة

قراءة من سفر أشعيا، ٥٤، ١–١٠

١إهتِفي أَيَّتُها العاقِرُ الَّتي لم تَلِدْ إندَفِعي بالهُتاف وٱصرُخي أَيَّتُها الَّتي لم تَتَمَخَّض فإِنَّ بَني المَهْجورةِ أَكثَرُ مِن بَني المُتَزَوِّجَة، قالَ الرَّبّ.

٢وَسِّعي مَوضِعَ خَيمَتِكِ ولْيَبسُطوا جُلودَ مَساكِنِكِ، ولا تَمْنَعيهم. طَوِّلي أَطْنابَكِ وثَبِّتي أَوتادَكِ

٣فإِنَّكِ تَتَجاوَزينَ إِلى اليَمينِ وإِلى الشَّمال ويَرِثُ نَسلُكِ الأُمَمَ ويُعَمِّرُ المُدُنَ الخَرِبَة.

٤لا تَخافي فإِنَّكِ لا تَخزَين ولا تَخجَلي فإِنَّكِ لا تَقتَضِحين لِأَنَّكِ ستَنسَينَ خِزْيَ صِباكِ ولا تَذكُرينَ عارَ إِرْمالِكِ مِن بَعدُ.

٥لِأَنَّ زَوجَكِ هو صانِعُكِ الَّذي رَبُّ القُوَّاتِ ٱسمُه وفاديكِ هو قُدُّوسُ إِسْرائيل يُدْعى إِلٰهَ الأَرضِ كُلِّها.

٦وقَد دَعاكِ الرَّبُّ كٱمرَأَةٍ مَهْجورةٍ كَئيبَةِ الرُّوح. وهل تُرذَلُ زَوجَةُ الصِّبا؟ يَقولُ إِلٰهُكِ

٧هُنَيهَةً هَجَرتُكِ وبِمَراحِمَ عَظيمَةٍ أَضُمُّكِ.

٨ في سَورَةِ غَضَبٍ حَجَبتُ وَجْهي عنكِ لَحْظَةً وبِرَأفَةٍ أَبَدِيَّةٍ أَرحَمُكِ قالَ الرَّبُّ فاديكِ.

٩ فذٰلك يَكونُ لَدَيَّ كأَيَّامِ نوح حينَ أَقسَمتُ أَلَّا تَعبُرَ مِياهُ نوحٍ على الأَرْض وكذٰلك أُقسِمُ أَلَّا أَغضَبَ علَيكِ وأَلَّا أَزجُرَكِ.
١٠وإِنِ ٱبتَعَدَتِ الجِبالُ وتَزَعزَعَتِ التِّلال فإِنَّ رَأفَتي لن تَبتَعِدَ عنكِ وعَهدَ سَلامي لن يَتَزَعزَع قالَ الرَّبُّ راحِمُكِ.

تاريخ الخلاص ومحبّة الله الأمينة

حتى الآن، استعرضنا معًا بداية تاريخ الخلاص من خلال سفر التكوين. ورأينا كيف خلق الله الرجل والمرأة ودعاهما إلى المحبّة منذ البداية. وهكذا، أقام الزواج الأوّل كنموذج ومثال لكلّ الزيجات التي ستأتي من بعده. كما تناولنا موضوع الخطيئة وعواقبها، ولاحظنا كيف تؤثّر هذه الحقيقة الإنسانيّة على الحياة والعلاقات، دون أن ينقطع، مع ذلك، وعد الله المحبّ.

بالإضافة إلى ذلك، رافقنا الشخصيّات البارزة في تاريخ الخلاص: إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف، الذين، على الرغم من نقاط ضعفهم وأخطائهم، هم شهود على أمانة الله الذي يفي بوعوده. في خضمّ حياتهم، نرى كيف أنّ الله لا يستسلم أمام فقرنا البشريّ، بل يواصل بصبر وحنان بتنشئة عائلة، عائلة الخلاص الكبيرة. هكذا يعمل الله: لكي يُعرَف ويخلّص البشريّة، يريد أن يُنشئ عائلة تنمو وتتقوّى على مرّ التاريخ.

كُتُب الأنبياء

بعد أن تحدّثنا عن سفر التكوين وأسُس إيماننا، ننتقل الآن إلى كتب الأنبياء، التي تفتح لنا الباب أمام اختبار عميق لمحبّة الله لشعبه، والتي يُعبَّر عنها من خلال صورة الزواج.

في تاريخ شعب إسرائيل، نجد ديناميكيّة تعكس اختباره واختبارنا أيضًا. يمرّ إسرائيل بمراحل يواجه فيها صعوبات عميقة[1]: فيشعر بالضياع وفقدان الهويّة، وكأنّه "شعب غير موجود". في تلك اللحظات، يستجيب الله لصرخته برحمة. فينفتح الشعب على الله ويختبر السلام والثقة، لكنّه مع مرور الوقت ينسى أنّ هذا الخير يأتي منه ويبدأ في الابتعاد عنه، باحثًا عن آلهة وأشكالًا زائفة من الضمانات.

هذا الابتعاد يقود إسرائيل إلى قلّة الأمانة، ممّا يتسبّب في المعاناة والخسارة. وفي خضمّ هذه الحلقة المفرغة، يبرز الأنبياء بأصواتهم الشجاعة، تلبيةً لدعوة الله لكي ينذّدوا بقلّة الأمانة، ويحذّروا من عواقبها، وقبل كلّ شيء، لكي يدعُوا إلى التوبة وتجديد العهد مع الله. كانوا يستخدمون لغة رمزيّة، وغالبًا ما تكون قاسية، لأنّ رسالتهم تزعج أصحاب السلطة.

إنّ الرسالة الأساسيّة للأنبياء هي نفسها دائمًا: كونوا أمناء للعهد الذي قطعه الله مع إسرائيل عندما حرّرهم من مصر! هذا العهد، الذي تجسّد في الشريعة، هو الأساس لحياة حرّة وممتلئة.

العلاقة بين الديانة الواحدة والزواج الأحادي

يساعدنا العهد القديم في فهمنا لله وللعائلة في العلاقة الوثيقة التي يقيمها بين الديانة الواحدة والزواج الأحادي. الله واحد، فريد، وهذه الوحدة الإلهية تنعكس في الحبّ الفريد والنهائي الذي يجب أن يتجسّد في الزواج. لا يتعلّق الأمر بمجرّد اتّفاق اجتماعي أو قاعدة ثقافيّة، بل هو عطيّة كشفها الله، حيث لا ينغلق الحبّ الحصري بين شخصين على ذاته، بل ينفتح على الجماعة وعلى الحياة.

كانت هذه الفكرة ثوريّة في سياق الشرق الأدنى القديم، حيث كان تعدّد الآلهة والزوجات أمرًا طبيعيًّا. أمّا إسرائيل، فكان يعلن وجود إله واحد حقيقي، ويتمسّك في الوقت نفسه بنظام الزواج الأحاديّ، جاعلًا منه علامةً منظورة على المحبّة الحصريّة للإله الواحد. ويذكر سفر التكوين هذه الفكرة الجديدة في سرد قصة خلق الرجل والمرأة: "ولِذٰلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أَباه وأُمَّه ويَلزَمُ ٱمرَأَتَه فيَصيرانِ جَسَدًا واحِدًا" (تك ٢:٢٤). هذه الوحدة لا تعبّر عن الزوجين فحسب، بل عن الصورة ذاتها للعلاقة الفريدة بين الله وشعبه.

ولم يتوصّل إسرائيل إلى هذا الفهم بمجرّد تحليل للحياة العائليّة، بل لأنّ الاختبار النبويّ لله الفريد والأمين قد تجسّد في نموذج الزواج والحبّ البشري. بعبارة أخرى، تبلورت الديانة الواحدة والزواج الأحادي في آنٍ واحد في تاريخ إسرائيل، متأثّرين ببعضهما البعض.

تُعلّمنا هذه الديناميكيّة أمراً جوهريًّا: يجد الإنسان هويّته ودعوته ومعنى وجوده بقدر ما يفهم ذاته في ضوء الله. وكما يؤكد المجمع الفاتيكاني الثاني: "المسيح يبيّن للإنسان حقيقة الإنسان في وضوح كامل" (فرح ورجاء 22). ففي ضوء المسيح وحده نفهم قيمتنا الحقيقيّة، ومعنى علاقاتنا، وأهميّة العائلة، وتوقنا الكبير إلى حبّ أمين ومميّز.

خُلقنا من أجل الوحدة!

نحن خُلقنا من أجل محبّة فريدة، لا تنفصم، وأمينة وحصريّة. وهذا هو التوق العميق الذي يخفق في قلوبنا كلّ يوم. ألم نتألّم أحيانًا من خبرة الانفصال المؤلمة، أو من جرح الخيانة الزوجيّة الداخليّة، أو من تمزّق قلبٍ مشرذَم؟

هذا التّوق ليس نزوةً بشريّة ولا قيدًا تفرضه الكنيسة، بل هو تعبير عن أمر جوهريّ: نحن مخلوقون على صورة الله ومثاله. ولذلك نتوق إلى أن نعيش شركةً كاملة في الزواج، لأنّ قلبنا متهيّء لمحبّة أمينة وفريدة، لا تكذب ولا تخيّب، محبّة لا تعد بشيء ثم تتخلّى عنه. فإذا كان الله واحدًا، وفيه يسكن كمال الحبّ، فمن المنطقي والضروري، أن يبحث قلبنا بلا كلل عن هذه المحبّة الفريدة والدائمة. فالزواج الأحادي، إذا فُهِم كمحبّة أمينة تُعاش في الوحدة والشركة، يكشف لنا هويّة الله، وبالتالي هويّتنا.

ويتحدّث الكتاب المقدّس مرارًا عن توق الله إلى الإنسان، وعن توق الإنسان إلى الله. والصورة التي تمتدّ عبر تاريخ الخلاص كلّه هي، تحديدًا، الزواج الأحادي باعتباره زواجًا نهائيًّا: فالله يتّخذ شعبه عروسًا له في عهد شخصيّ ونهائيّ. ومنذ البداية، يبدأ الكتاب المقدّس بزواج — زواج آدم وحواء، صورةً للبشريّة — ثم يروي عهد الله مع إسرائيل باعتباره عرسًا مقدّسًا. فإسرائيل هي عروس الله المختارة، المدعوّة إلى أن تعيش الأمانة الزوجيّة في علاقة محبّة متبادلَة وإثراء مستمرّ.

ومع ذلك، فإنّ تاريخ إسرائيل هو أيضًا تاريخ عروسٍ غير أمينة تبتعد عن عريسها وتنغمس في عبادة الأوثان، فتتبع "آلهة" أخرى زائفة. وعدم الأمانة هذه تولّد الانفصال والألم وفقدان الهويّة. لذلك، فإنّ التاريخ الذي يتلخّص في المسيح، ملء وحي الآب، يقدّمه على أنه عريس الكنيسة، ملء وحي الآب، الذي يقدّم نفسه على أنه عريس الكنيسة ويتجلّى ذلك في أولى عجائبه، في عرس قانا (يو ٢، ١–١١)، وفي مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات (مت ٢٥، ١–١٣)، وفي كلمات القديس بولس الذي يدعو الأزواج المسيحيين إلى أن يحبّوا بعضهم بعضًا كما أحبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه من أجلها على الصليب[2].

وأخيرًا، يختتم الكتاب المقدّس باحتفال عُرس عظيم في سفر الرؤيا: عرس الحمل، العهد الأبدي والنهائي بين المسيح وكنيسته. وهكذا، ستكون السماء نفسها عرسًا، العرس النهائي بين المسيح وشعبه[3].

هوشع: رمز الأمانة الكاملة

الله، الذي هو محبّة، يُشركنا في محبّته. لا يمكن للزواج أن يستند إلى حبّنا البشري فحسب، لأنه يتجاوزه بكثير: إنه حبّ الله نفسه، الذي يُكشف ويُعاش في اتحادنا بالأسرار. هذا هو معنى الزواج في الكنيسة، وليس عبر الكنيسة فحسب.

عاش هوشع، الذي هو من أنبياء العهد القديم، وبشّر بالأمانة في خضمّ أزمة كبيرة مرّ بها إسرائيل، نحو سنة ٨٠٠ قبل الميلاد. ويرتبط اسمه، الذي يعني "الخلاص"، بشخصيّات مثل يوسف[4] ويشوع[5]، الذين يمثّلون الخلاص واستعادة الحياة في تاريخ إسرائيل.

وفي عالم تبدو فيه الأمانة موضة قديمة، والالتزام عابر، قد يبدو الحديث عن ديمومة الزواج أمراً غريبًا أو مستحيلًا. واليوم، لم تعد الخيانة الزوجيّة أمراً شائعاً فحسب، بل أصبحت تسهّلها منصّات تشجّع على التملّص من الالتزام بشكل مبطّن. هذا ويعتبر المجتمع المعاصر أحيانًا إلى أنّ عدم الأمانة هي حلّ لأزمات الزواج، باعتبار هذا الفيروس الذي ينخر العلاقات سلوكًا طبيعيًّا.

أمام ذلك، يُظهر لنا هوشع إلهًا يحبّ بأمانة لا تتزعزع. فعلى الرغم من أنّ زوجته جومر كانت غير أمينة، غفر لها وبحث عنها بحبّ كبير. وقد دُعي هوشع إلى أن يعيش أمانة الله أمام خيانة شعبه، ليُعلّمنا أن

الإخلاص هو عمل سامٍ من أعمال الحريّة لا يتحقّق إلا بحضور الله، فأن نحبّ من دون أن ننتظر شيئًا في المقابل هو أمر مستحيل من دون الله.

إرميا والدعوة إلى التذكّر

تنبّأ إرميا في أزمنة عصيبة عاشتها مملكة يهوذا، في السنوات الأخيرة من وجودها وقبل السبي (إر ١، ١-٣) وندّد بالتديّن الزائف والثقة المضلّلة (إر ٧، ٣-١١)، وباللجوء إلى الأصنام، قائلًا: "تركوني أنا ينبوع المياه الحيّة وحفروا لأنفسهم آباراً مشققةً لا تمسك الماء". وهكذا كان يفضح خيانة الشعب الذي يلتمس ملجأه في الأصنام، ويتظاهر بالتقوى من دون التزام حقيقي. وباستخدام صورة الزواج، يُظهر إرميا كيف نسي إسرائيل محبّة الله الأولى (إر ٢، ١١-١٣).

وفي أوقات الأزمات، عندما يبدو كلّ شيء مظلمًا وبلا معنى، لا بدّ من أن نتذكّر: الوعود واللقاءات السابقة مع الله التي تمنحنا القوّة والثبات. فالذاكرة الشاكرة تساعدنا على التغلّب على اليأس والمضيّ قدماً، حتى عندما لا توجد أسباب واضحة تدفعنا إلى ذلك.

"قد تذكّرت لك مودّة صباكِ محبّة خطبتك لمّا كنت تسير ورائي في البرية في أرض لا زرع بها" (إر ٢، ٢). يدعو الله شعب إسرائيل إلى أن يتذكّر الخروج من مصر، وكيف أعطاه الشريعة، والعجائب التي صنعها على مرّ التاريخ.

"ولم يقولوا: أين الرب الذي أصعدنا من أرض مصر، وسار بنا في البرية، في أرض قفارٍ وحفر، في أرض قاحلةٍ وظلال موت، في أرض ما جاز فيها إنسان ولا سكنها بشر؟" (إر ٢، ٦).

وهذه الدعوة إلى "العودة إلى البداية" هي موجَّهَة إلينا نحن أيضًا: فإنّ تذكّر اللحظات الحاسمة في الإيمان والزواج، يقوّي الالتزام والرجاء.

"ها إِنَّها تَأتي أَيَّام، يَقولُ الرَّبّ، أَقطَعُ فيها مع بَيتِ إِسْرائيلَ (وبَيتِ يَهوذا) عَهدًا جَديدًا، لا كالعَهدِ الَّذي قَطَعتُه مع آبائِهم، يَومَ أَخَذتُ بِأَيديهِم لِأُخرِجَهم مِن أَرضِ مِصْرَ لِأَنَّهم نَقَضوا عَهْدي مع أَنّي كُنتُ سَيِّدَهم، يَقولُ الرَّبّ. ولٰكِنَّ هٰذا العَهدَ الَّذي أَقطَعُه مع بَيتِ إِسْرائيلَ بَعدَ تِلكَ الأَيَّام، يَقولُ الرَّبّ، هو أَنّي أَجعَلُ شَريعَتي في بَواطِنِهم وأَكتُبُها على قُلوبِهم، وأَكونُ لَهم إِلٰهًا وهم يَكونونَ لي شَعبًا. ولا يُعَلِّمُ بَعدُ كُلُّ واحِدٍ قَريبَه وكُلُّ واحِدٍ أَخاه قائِلًا: "إِعرِفِ الرَّبّ"، لِأَنَّ جَميعَهم سيَعرِفونَني مِن صَغيرِهم إِلى كَبيرِهم، يَقولُ الرَّبّ، لِأَنّي سأَغفِرُ إِثمَهم ولن أَذكُرَ خَطيئَتَهم مِن بَعدُ". (أر ٣١:٣١-٣٤)

حزقيال: الغفران والأمانة المجدّدة

عندما يبدو لنا أنّ الذاكرة البشرية وحدها لا تكفي للحفاظ على العلاقة بسبب الخيانات المتكرّرة، يأتي الغفران ليلعب دوره.

يقدّم حزقيال صورةً مؤثّرة لشعبٍ جريحٍ ومتروك، لكنّ الله يعتني به ويحبّه. ويُظهر لنا النبي كيف يغفر الله ويجدّد العهد، على الرغم من خيانة الشعب:

"وآخُذُكم مِن بَينِ الأُمَم، وأَجمَعُكم مِن جَميعِ الأَراضي وآتي بِكم إِلى أَرضِكم. وأَرُشُّ عليكم ماءً طاهِرًا، فتَطهُرونَ مِن كُلِّ نَجاسَتِكم، وأُطَهِّرُكم مِن جَميعِ قَذاراتِكم. وأُعْطيكم قَلبًا جَديدًا وأَجعَلُ في أَحْشائكم روحًا جَديدًا وأَنزِعُ مِن لَحمِكم قَلبَ الحَجَر، وأُعْطيكم قَلبًا مِن لَحْم" (حز ٣٦:٢٤-٢٦)

هذا الغفران الإلهي، الذي يتعارض مع المنطق البشري القائم على مبدأ "العين بالعين" (حز ١٨، ٢١-٢٢)، هو غفران مجانيّ ومُدهش، لأنه لا يستند على الاستحقاقات، بل على محبّة الله غير المشروطة:

"والشِّرّيرُ، إِذا رَجَعَ عن جَميعِ خَطاياه الَّتي صَنَعَها وحَفِظَ جَميعَ فرائضي وأَجْرى الحَقَّ والبِرّ، فإِنَّه يَحْيا حَياةً ولا يَموت. جَميعُ مَعاصيه الَّتي صَنَعَها لا تُذكَرُ لَه، وبِبِرِّهِ الَّذي صَنَعَه يَحْيا." (حز ١٨:٢١-٢٢)

المغفرة ليست مجرّد فعل إلهي فحسب، بل هي خبرة إنسانية أيضًا. فهي تتطلّب الاعتراف بأخطائنا، وطلب المساعدة، والسير نحو الشفاء. إنها عطيّة تفتح أبواب الرجاء وتسمح للحبّ والأمانة بأن يولدا من جديد حتى وسط الجراح الأكثر عمقًا.

تكشف لنا قصّة الخلاص أنّ الله، في محبّته اللامتناهية، يدعونا إلى عيش محبّة أمينة، كما هو أمين:

"وأَذكُرُ أَنا عَهْدي معكِ في أَيَّامِ صِباكِ، وأُقيمُ لَكِ عَهدًا أَبَدِيًّا" (حز ١٦، ٦٠)

ثمّ يدعونا الله أيضًا إلى بناء علاقاتنا على ثلاث ركائز أساسيّة: الأمانة، والذاكرة الشاكرة، ومجّانية الغفران، فهي لا تدعم الزواج فحسب، بل علاقتنا مع الله والآخرين. وهكذا نكتشف أنّ الحبّ الحقيقيّ ليس مجرّد شعور عابر، بل هو قرار يوميّ تدعمه نعمة الله ويغذّيه رجاء العهد الأبدي.

من أقوال الأب كافاريل

"لكن إذا استطاع أن يغفر بهذا الغفران، الحقيقي الوحيد، الذي يعني أن يعيد للآخر ثقته الكاملة، فسوف يعيش خبرة رائعة وغير متوقّعة. إنّها الخبرة نفسها التي عاشها النبي هوشع، وطلب الله منه أن يستعيد زوجته الخائنة. ولما فعل ذلك بقلب واثق، لم يكن عليه إلاّ أن يستعين بخبرته الشخصيّة عندما حان الوقت ليكشف أمانة يهوه وحنانه ورحمته تجاه شعبه الزاني.

فلو لم يكن النبي قد عرف كيف يغفر، لما استطاع أن يدخل إلى أسرار قلب الله، ولكُنّا حُرمنا بعضًا من أكثر آيات الكتاب المقدّس تأثيرًا.

اسمعوا: "قدِ ٱنقَلَبَ فيَّ فُؤادي وٱضطَرَمَت أَحْشائي. لا أُطلِقُ حِدَّةَ غَضَبي ..." (هو ٨:١١) " لِذٰلك هاءَنَذا أَستَغْويها (أي الأمة اليهودية) وآتي بِها إِلى البَرّيَّةِ وأُخاطِبُ قَلبَها... فتُجيبُ هُناكَ كما في أَيّامِ صِباها" (هو ٢: ١٦-١٧)

هنري كافاريل،"الخاتم الذهبيّ"، العددان ١١٧-١١٨، "الزواج، طريق نحو الله"، أيار-آب ١٩٦٤

أسئلة لتحضير واجب المجالسة

في مسيرة تاريخ إسرائيل، نرى كيف أنّ الله، أمام عدم الأمانة والابتعاد، يدعو إلى التوبة والمصالحة، ويعود ليجدّد العلاقة ويرمّمها. هل يوجد في زواجك أمورًا مشابهة: أوقاتًا من الابتعاد أو الأزمات أو القطيعة، تليها دعوة إلى المصالحة وتجديد العلاقة؟ كيف كانت خبرة "العودة إلى الحبّ" في علاقتكما؟ وما الذي ساندكما في أوقات الأزمات تلك؟

يعلّمنا الأنبياء أنّ الحبّ المُخلص يستند إلى الذاكرة والغفران، اللذين يتيحان معًا تجديد عهد الحبّ. من بين هذه الركائز الثلاث: الأمانة، والذاكرة، والغفران، أيّ منها كان له الدور الأكبر في تعزيز زواجك؟ ولماذا؟ في أيّ جوانب تشعر أنّه بإمكانك أن تنمو حتى تصبح هذه الركائز أكثر حضوراً في حياتك الزوجيّة؟

سَير الاجتماع

نقاط للتفكير حول تبادل الخبرات

إنّ المشاركة هي لحظة مميّزة نتبادل فيها، انطلاقًا من الإيمان، كيف يعمل الله في تاريخ زواجنا. إنّ الاكتفاء بالحديث عمّا حدث معنا يساعدنا على أن نتعرّف إلى بعضنا بعضًا، لكنه لا يتيح لنا الخروج من دوّامة الصعوبات المتكرّرة، ولا التعمّق في اختبار حضور الله وعمله وسط هذه الصعوبات.

لذلك، انطلاقًا ممّا عشناه في زواجنا وعائلتنا، متى رأينا أنّ "التاريخ يعيد نفسه"، من خلال أزمات أو حالات ابتعاد، ولكننا رأينا أيضًا كيف يفتح الله طريقًا، ويدعونا إلى التوبة، ويجدّد الرجاء والمحبّة؟

المشاركة

نقترح عليكم بعض المسارات للمشاركة، التي يمكن أن تساعدنا بأن نفسح المجال أمام الله ليغيّر حياتنا وعلاقاتنا. في ضوء هذا الموضوع، كيف تساعدنا نقاط الجهد على حماية الوحدة والأمانة في حياتنا الزوجيّة والعائليّة، ولا سيّما في أوقات التعب، أو الروتين، أو الفتور، أو الجفاء؟

إنّ الإصغاء إلى كلمة الله يجعلنا ننفتح على اختبار محبّة الله الأمينة، التي تبقى ثابتة حتى في عدم الأمانة والأزمات. ومن خلال الأنبياء، نتعلّم أن ننظر إلى زواجنا وعائلتنا بعيني الله، الذي يدعونا دائمًا إلى التوبة والأمانة والرجاء، ويحوّل الألم إلى طريق خلاص. خلال هذا الشهر، كيف ساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله على أن نتذكّر الحبّ الأوّل، ونذكّر أنفسنا من أين أتينا ومن دعانا؟

وهل سمح لنا هذا الإصغاء بأن نعيد قراءة موقف من عدم الأمانة الداخليّة مثل الإحباط، أو الهروب، أو عيش حياة مزدوجة، أو قساوة القلب... في ضوء الإيمان؟

إنّ الذاكرة الشاكرة تدعونا إلى أن نتذكّر لحظات النعمة واللقاء مع الله في تاريخنا الشخصيّ والزوجيّ، ممّا يقوّي الالتزام والثقة لمواصلة المسيرة.

وتتيح لنا الصلاة الزوجيّة، باعتبارها مساحة مقدّسة، أن نضع أمام الله جراحنا واختلافاتنا، وأن ننال بركته، ونتعلّم الغفران، فنجعل من محبّتنا انعكاسًا لمحبّة الله غير المشروطة.

كيف تساعدنا الصلاة الزوجيّة على العودة معًا إلى الله عندما نشعر بالجراح أو التعب أو عندما نفضّل الاستسلام؟ وهل نعيشها كفرصة للمصالحة والبداية من جديد؟

من هنا، واجب المجالسة هو وقتٌ مخصَّص لنكسر دائرة عدم الأمانة والنسيان والاستياء التي قد نحملها معنا أحيانًا تمامًا مثل هوشع أو إرميا، نتعلّم كيف نعيش الأمانة والذاكرة والغفران، وهي أمور تجدّدنا.

بالإضافة إلى ذلك، واجب المجالسة هو مساحة للإصغاء، والمشاركة من القلب، والتمييز معًا حول كيف أنّ الله يريد أن يعمل في قصة حبّنا وعهدنا.

هل نستطيع أن نتحدّث بصدق عمّا يهدّد شركتنا ووحدتنا — من نسيان، وعتاب، وصمت، ونقص في الغفران... — من دون خوف واتّهامات؟

ما هي الخطوات الملموسة التي نرى أنّ الرب يدعونا إلى القيام بها لكي "نعود إلى الشركة"؟

الصلاة

لنأخذ لحظة صمت، ولنتأمّل في وعد الله الذي ينقله إلينا أشعيا:

"إهتِفي أَيَّتُها العاقِرُ الَّتي لم تَلِدْ إندَفِعي بالهُتاف وٱصرُخي أَيَّتُها الَّتي لم تَتَمَخَّض فإِنَّ بَني المَهْجورة أَكثَرُ مِن بَني المُتَزَوِّجَة، قالَ الرَّبّ." (اش ٥٤:١)

مثل تلك المرأة التي بدت وكأنّها بلا رجاء، قد نشعر نحن أيضًا، في تاريخنا العائليّ والزوجيّ، بأوقات من الهجر والجراح والألم والخزيّ. لكنّ الرب يؤكّد لنا ألاّ نخاف أو نشعر بالإهانة، لأنّه خالقنا ومحرّرنا، وهو الذي يجمعنا ويجدّدنا بمحبّة أبديّة.

لنطلب من الرب نعمة أن ننظر إلى تاريخنا بعينيه، مدركين أنّه، حتى لو بدا لنا لوهلة أنّه لا يسمعنا، غير أنّ حبّه لا يتزعزع أبدًا ولا يتعب منّا. إنّه يريد أن يوسّع مساحة خيمتنا، ويطيل حبالنا، ويقوّي أوتادنا، لكي تنمو عائلتنا في السلام والمحبّة والرجاء.

صلاة موجَّهة

يمكننا أن نصلّي بصوت عالٍ بكلمات بسيطة، مثل:

"أشكر الرب، إله الأرض كلّها، لأنّه وسط صعوباتنا يبسط محبّته ورجاءه..."

"أطلب منه نعمة قبول محبّته الأبدية، وأن يفتح قلوبنا لمصالحته، مثل المرأة التي تولد من جديد وتفرح بوعد الرب.."

"أثق بأنّه سيحوّل جراحنا إلى بركة، وأنّ عهد سلامه سيبقى إلى الأبد..."

صلاة

أيّها الربّ يسوع، يا إله الأرض كلّها، يا من تحبّنا وتجمعنا بمحبّة أبديّة، ادخل أيضًا في تاريخ عائلتنا. امنحنا نعمة ألّا نخاف، وأن نوسّع مساحة بيتنا، وأن نثق بأنّك أنت المحرّر الذي يحوّل الخيانة إلى مصالحة، والخزيّ إلى فرح، والوحدة إلى شركة.

اجعل عائلاتنا علامة حيّة لمحبّتك الأمينة وصانعة السلام، قادرة على مداواة الجراح، وإيقاف دوّامة الشرّ من خلال الخير، والتبشير باسمك بأنّ معك توجد بداية جديدة على الدوام.

آمين.

نختتم بتلاوة الصلاة الربّية: "أبانا الذي في السماوات"

حوار حول الموضوع – بعض الأفكار

–هل لاحظت في حياتك العائليّة أو الزوجيّة لحظةً ما، كما حصل في "تثنية الاشتراع" حين ابتعد الشعب عن الله ثم دُعي من جديد إلى الأمانة؟ كيف عشت هذا الاختبار؟

–ماذا تقول لك العلاقة بين الديانة الواحدة والزواج الأحادي عن المعنى الكبير للحبّ الفريد والأمين في الزواج؟ كيف تعيشه أو كيف تودّ أن تعيشه في عائلتك؟

من بين الرّكائز الثلاث (الأمانة، والذاكرة، والغفران)، أيّ منها ساعدك أكثر على مواجهة الصعوبات في علاقتك أو عائلتك؟ وكيف؟ في أيّ منها تشعر أنّك بحاجة إلى مواصلة النموّ؟ وإلى أيّ مدى؟ أيّ من الرّكائز الثلاث تشعر أنّها من الملحّ الاهتمام بها في زواجك وعائلتك؟ ولماذا؟

–بعد التأمّل في عمل الله في التاريخ وفي تاريخ عائلتنا، ما هو الرجاء أو الثقة التي تودّ أن تحملها معك لتعزيز زواجك أو عائلتك؟

–يقدّم النص تاريخ إسرائيل على أنّه سلسلة من الانقطاعات والعودة. في أيّ لحظات من حياتك الزوجيّة أو العائليّة ترى هذه الديناميكيّة نفسها؟ ما الذي يساعدك على ألاّ تفقد الرجاء وأن تبدأ من جديد؟

[1] من بين هذه الأحداث: التحرّر من عبودية مصر (خر ١٤، ١٠–٣١)، والنسيان وعبادة الأوثان في الصحراء (خر ٣٢، ١–٣٥)، وحكم القضاة (قض ٢، ١١–١٩)، وانقسام المملكة وعبادة الأوثان في إسرائيل ويهوذا (١ مل ١٢–١٤)، ولا سيّما السبي إلى بابل (إر ٢٩، ١٠–١٤).

[2]"أَيُّها الرِّجال، أَحِبُّوا نِساءَكم كما أَحَبَّ المسيحُ الكَنيسة وجادَ بِنَفسِه مِن أَجْلِها" (أفسس ٥: ٢٥–٣٢)

[3]"وسَمِعتُ مِثلَ صَوتِ جَمعٍ كَثيرٍ ومِثلَ خَريرِ مِياهٍ غَزيرةٍ ومِثلَ دَوِيِّ رُعودٍ شَديدةٍ يَقول: "هَلِّلويا! لِأَنَّ الرَّبَّ إِلٰهَنا القَديرَ قد مَلَك. لِنَفرَحْ ونَبتَهِجْ! ولْنُمَجِّدِ الله، فقَد حانَ عُرسُ الحَمَل، وعَروسُه قد تَزَيَّنَت وخُوِّلَت أَن تَلبَسَ كَتَّانًا بَرَّاقًا خالِصًا". فإِنَّ الكَتَّانَ النَّاعِمَ هو أَعْمالُ البِرِّ الَّتي يَقومُ بِها القِدِّيسون. وقالَ لِيَ المَلاك: "أُكتُبْ: طوبى لِلمَدعُوِّينَ إِلى وَليمَةِ عُرسِ الحَمَل". وقالَ لي: "هٰذا الكَلامُ كَلامُ اللهِ حَقّ."(رؤ ١٩، ٦–٩)

[4]"والآن فلا تَكتَئِبوا ولا تَغضَبوا لِأَنَّكم بِعتُموني هُنا، فإِنَّ اللهَ قد أَرسَلَني أَمامَكم لِأُحيِيَكم [...] .فأَرسَلَني اللهُ قُدَّامَكم لِيَجعَلَ لَكم بَقِيَّةً في هٰذه الأَرض ولِيُحيِيَكم، لِنَجاةٍ عظيمة " (تك ٤٥، ٥–٧)

"أَنتُم نَوَيتُم عَلَيَّ شَرًّا، واللهُ نَوى بِه خَيرًا، لِكَي يَصنَعَ ما تَرَونَه اليَوم لِيَهَبَ الحَياةَ لِشَعبٍ كَثير " (تك ٥٠، ٢٠)

[5]"إِنَّ موسى عَبْدي قد مات، فقُمِ الآنَ واَعبُرِ الأُردُنَّ هٰذا، أَنتَ وكُلُّ هٰذا الشَّعْب، إِلى الأَرضِ الَّتي أَنا مُعْطيها لِبَني إِسْرائيل " (يشوع ١، ٢–٣)

يصبح يشوع أداةً في يد الله لإدخال الشعب إلى أرض الميعاد، فيتحقّق بذلك الخلاص والوعد.

الفصل الخامس – الاتحاد الكامل في الحبّ[1]"

"قومي يا خليلتي، يا جَميلَتي، وهَلُمّي" (نش ٢: ١٠)

الأهداف

- إعادة اكتشاف القيمة المقدّسة للحبّ البشريّ.
- تقدير الجنس باعتباره عطيّة وطريقاً إلى الشركة.
- تعلُّم كيفيّة التوفيق بين الحبّ واللذّة والخصوبة.
- تجديد النظرة الإيمانيّة إلى الجسد والعلاقة.

قراءة الكلمة

قراءة من سفر نشيد الأناشيد ٢، ١٠–١٣

"قومي يا خليلتي، يا جَميلَتي، وهَلُمّي.
فإِنَّ الشِّتاءَ قد مَضى والمَطَرَ وَقَفَ وزال.
قد ظَهَرَتِ الزُّهورُ في الأَرْض ووافى أَوانُ الأَغانِي وسُمِعَ صَوتُ اليَمَامةِ في أَرضِنا.
التِّينةُ أَخرَجَت بَكائِرَها والكُرومُ أَزهَرَت وأَفاحَت رائِحَتها. فقومي يا خَليلَتي، يا جَميلَتي، وهَلُمّي".

تعليق

مقدّمة

حتى الآن، استعرضنا المحطّات الكبرى في تاريخ الخلاص: من سفر التكوين وصولاً إلى الأنبياء، واكتشفنا كيف يُنشيء الله عائلة، ويبقى أميناً رغم خياناتنا، ويدعونا دائماً إلى تجديد العهد.
واليوم سنتحدّث عن سفر مختلف وهو نشيد الأناشيد. إنّه ينتمي إلى الكتب الحكميّة أو الشعريّة— أيّوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد، الحكمة، يشوع بن سيراخ— حيث يجمع شعب إسرائيل الحكمة التي اكتسبها من علاقته بالله. وعندما لم يعد يوجد أنبياء يتكلّمون، تعلّم الشعب أن يتذكّر ويحفظ الكلمة التي تلقّاها، وأن يستحضرها في ذاكرته كي لا ينسى العهد.

[1] يُوصى بقراءة "نشيد الأناشيد" بالكامل قبل الاجتماع دون القيام بدراسة تفسيريّة مفصّلة، بل بقراءة مصلّية وشخصيّة، تترك صدًى في اختبار الحبّ والعهد والرغبة.

"نشيد الأناشيد" هو "نشيد بامتياز"، وأجمل قصيدة في الكتاب المقدس. وعلى الرّغم من أنه يُنسب إلى سليمان، فإنّ لغته وأسلوبه يشيران إلى حقبة لاحقة. لطالما اعتُبر نصًّا موحىً به، وفي التقليد المسيحي، اعتُبر على أنّه تجسيد رمزيّ للحبّ بين الله وشعبه، ولاحقًا بين المسيح وكنيسته.

للوهلة الأولى، يظهر وكأنّه قصيدة حبٍّ بشريّ: حبيبان يبحثان عن بعضهما، يفقدان بعضهما ثم يلتقيان من جديد، يعبّران عن شوقهما بصُوَرٍ مستوحاة من الطبيعة — الزهور، العطور، الحدائق، العسل. لكن خلف هذه اللّغة المفعَمَة بالشغف يكمن سرٌّ إلهيّ: حبّ الله الذي يبحث عن الإنسان، ويناديه باسمه، ويتّحد به إلى الأبد.

وهكذا، فإنّ "نشيد الأناشيد" يمجّد جمال الحبّ الزوجيّ باعتباره علامة على حبّ الله: حبّ أمين وقويّ ومُفعَم بالشّغف، مدعوّ إلى أن يعكس العهد الأبديّ بين المسيح وكنيسته.

معنى نشيد الأناشيد

غريب كيف أنّ كتابًا قصيرًا وجميلًا مثل سفر نشيد الأناشيد، ليس معروفًا بما فيه الكفاية وأقلّ الكتب فهمًا في الكتاب المقدس. غالبًا ما حاولوا "روحنة" مضمونه، وكأنّ الحبّ البشري— بما فيه من حنان وشغف وتضحية — لا يستحقّ أن يُعتبَر مقدّسًا. غير أنّ كلمة الله لا تخشى الحديث عن الحبّ البشريّ، لأن سرّ الله يتجلّى فيه.

"نشيد الأناشيد" ليس نبوءة على غرار سفر هوشع أو حزقيال، حيث يظهر حبّ الله في العلاقة بينه وبين إسرائيل. كما أنّه ليس، بمعناه الحرفي، رمزاً لزواج سليمان من الحكمة. إنّ لغته أكثر مباشرة وإنسانيّة: فهو يتحدّث عن حبّ شخصين يبحثان عن بعضهما، يرغبان ببعضهما، ويمنحان ذاتهما لبعض بأمانة وشغف. يحتفي هذا النشيد بالحبّ الأمين والكامل، ذلك الحبّ الذي لم يتمكّن إسرائيل دائمًا من عيشه في علاقته مع الله. فعندما يُعاش الحبّ البشريّ بصدق وإخلاص، يصبح بذلك علامة مرئيّة وبليغة على حبّ الله.

وكان لويس دي ليون (كاتب وشاعر إسبانيّ) قد أكّد في العام ١٥٦١ أنّ "نشيد الأناشيد لا يعني أكثر ممّا يقوله" فهو يتحدّث عن الحبّ البشريّ بكلّ ما له من عمق. وإذا أراد الكتاب المقدس أن يعكس مجمل الخبرة الإنسانيّة، فلا يمكنه أن يتجاهل لغة الحبّ أو الرغبة. ففي القبلة، وفي البحث عن الآخر، واتّحاد الحبيبين، ينكشف شيء من الرغبة الإلهيّة في الشّركة:

"لِيُقَبِّلْني بِقُبَلِ فَمِه فإِنَّ حُبَّكَ أَطيَبُ مِنَ الخَمْر" (نش ١:٢)

وهكذا، يُعلِّمنا "نشيد الأناشيد" أنّ الحبّ البشريّ ليس عائقاً أمام الله، بل هو أحد الطرق المتميّزة لفهم محبّته. فعلى صعيد الزواج أو الحياة الروحيّة، يوحّد الحبّ الحقيقيّ الجسد والنفس والروح معًا، ويجعل حنان الله مرئيًّا في التاريخ الملموس لكلّ زوجين.

فرادة سفر نشيد الأناشيد

يتميّز سفر نشيد الأناشيد بفرادة مدهشة وملهمة للغاية لفهم الحبّ البشريّ والدعوة الزوجيّة في ضوء الإيمان. من خلال لغة شعريّة ورمزية، يكشف النصّ جوانب أساسيّة من الحبّ بين الرجل والمرأة، تضيء أيضًا حياة الزواج المسيحيّ والروحانيّة الزوجيّة، التي تميّز "فرق السيدة".

القيمة المطلقة للمرأة

في عالمٍ قديم كان صوت المرأة بالكاد يُسمع فيه، يظهر نشيد الأناشيد كأنه ثورة صامتة. بطلة القصّة هي امرأة حرّة، تعبّر دون خوف عن مشاعرها ورغبتها وفرحتها بالحبّ، فهي ليست المُلهمة الصامتة التي نراها في قصائد أخرى: بل هي الصوت الرئيسيّ في القصّة.

"أَنا سوداءُ، لَكِنَّني جَميلَةٌ يا بَنَاتِ أُورَشَليم كخِيامِ قيدار، كسُرادِقِ سَلْمى. لا تَلتَفِتْنَ إِلى كَوني سَوداء فإِنَّ الشَّمسَ قد جَعَلَتني سَمْراء". (نش ١، ٥-٦)

إنّها لا تخجل من جسدها ولا من تاريخها. وهي لا تحتاج إلى أن يقرّر إخوتها نيابة عنها؛ فهي تعرف من تكون ومن تحبّ. كلماتها ورغبتها هي رمز لكرامة وحريّة كلّ امرأة مخلوقة على صورة الله.

يعلن "نشيد الأناشيد"، بأسلوب شعريّ ونبويّ، عن المساواة الجذريّة بين الرجل والمرأة: كلاهما رائدان في قصّة الحبّ، ويبحث الواحد عن الآخر ويهب ذاته له. وفي صوت الشّولمِيّة يتردّد صدى سفر التكوين: "ورأَى اللهُ جَميعَ ما صَنَعَه فإذا هو حَسَنٌ جِدًّا" (تك ١: ٣١).

جمال الحياة الجنسيّة ونقاوتها

اختلط مفهوم الحياء في أُطر مسيحيّة عديدة بمفهوم الخجل أحيانًا. إنّما إذا فُهِم الحياء على نحو صحيح، يحمي جمال الحبّ؛ ولا يخفيه، بل يصونه من الابتذال والتحوّل إلى أمر عاديّ وفارغ من معناه.

يحتفي نشيد الأناشيد بالجسد الإنساني بنقاوة مشرقة ولغة شعريّة، من دون أن يقع في التزمّت أو الابتذال. إنّه نشيد الفرح المشترك بين الزوجين اللذين يحبّ أحدهما الآخر.

"ما أَجمَلَك وما أَشْهاك أَيُّها الحُبُّ في المَلَذَّات!

قامَتُكِ مِثلُ النَّخلَة وثَدْياكِ مِثْلُ العَناقيد..." (نش ٧، ٧-١٠).
الجسد ليس سلعة تجاريّة ولا أداة للتلاعب بالآخر، بل هو موضع يُعبَّر فيه عن الشّركة والحنان، ومساحة يتجلّى فيها الجسد ويصبح حقيقيًا.
في نشيد الأناشيد، تظهر الحياة الجنسيّة للإنسان كبركة، وكطريقة للتعبير من خلال الجسد: "كلّي لكِ وأستقبلك كعطيّة في حياتي".

الاتّحاد الشخصي: توازن بين التزمّت والتحرّر

يحتفل نشيد الأناشيد بملء الحبّ البشريّ، ولغته طبيعيّة وحرّة وإنسانيّة بالعمق. مع شعب اختبر السبي والألم، يجرؤ هذا السفر على القول بإنّ الحبّ قادر على تجدّد الحياة وفداء العالم.
يكتشف الحبيبان صلاح الخليقة عندما يتأمّل كلّ منهما بجمال الآخر. ويصبح الربيع والحدائق والثمار تشابيه تعبّر عن هذا الاتحاد.
فالحبّ، عندما يُعاش بصدق، يحرّر الإنسان من جمود التزمّت وفراغ الانحلال الأخلاقي.
يُعلّمنا نشيد الأناشيد أنّ الحبّ البشري، عندما يكون صادقاً، يؤنسن ويؤلّه. فهو لا يُبعدنا عن الله: بل يقرّبنا منه، لأنّ الله محبّة (١ يو ٤: ٨).

الحياة الجنسيّة: عطيّة وشركة

يقدّم نشيد الأناشيد فكرة جديدة جوهريّة: فالحياة الجنسيّة لا تقتصر على الإنجاب، ولا على كونها "علاجًا" للشهوة، بل هي، قبل كلّ شيء، تعبير عن الحبّ المتبادَل وعن خير الزوجين:
"أَنا لِحَبيبي وأَشْواقُه إِلَيَّ" (نش ٧، ١١)
"شِمَالُه تَحتَ رأسي ويَمينُه تُعانِقُني " (نش ٨، ٣)
هنا، تصبح الحياة الجنسيّة عطيّة وتواصلاً، ولغةً للروح، وطريقةً إنسانيّة عميقة للتعبير عن العطاء الكامل للحبّ. إنّها حقيقة طهّرها الله، وهكذا، فإنّ الحبّ البشريّ هو شعلة إلهيّة، نار تنبع من الله نفسه:
"فإِنَّ الحُبَّ قَوِيٌّ كالمَوت والهَوى قاسٍ كمَثْوى الأَمْوات سِهامُه سِهامُ نار ولَهيبُ الرَّبّ" (نش ٨، ٦) "المِياهُ الغَزيرةُ لا تَستَطيعُ أَن تُطفِئَ الحُبّ والأَنْهارُ لا تَغمُرُه" (نش ٨، ٧). عندما نحبّ بهذه الطريقة بأمانة وحنان وبذل كامل للذات نسمح لشرارة من حبّ الله الأبديّ بأن تشتعل فينا.
إنّ نشيد الأناشيد، في جوهره، هو فعل إيمان بصلاح الخليقة وبالله الذي هو محبّة. وهو يدعونا إلى أن ننظر إلى الآخر بالعينين اللتين ينظر الله بهما إلينا: باحترام وإعجاب وحنان.

فالحبّ البشري، عندما يُعاش بصدق، يصبح علامة منظورة على الحبّ الإلهي، ومشعلًا منيرًا يعكس وجه الله في وجه الحبيب.

الحياة الجنسيّة، لغة الحبّ الزوجيّ

تندرج الحياة الجنسيّة في صميم مشروع الله الخالق؛ فهي ليست أمرًا مضافًا إلى الإنسان، بل بُعدٌ أساسيّ من أبعاد شخصه وكيانه. وفيها يتجلّى الاتحاد العميق بين الجسد والروح، وبين الحبّ البشري والحبّ الإلهي.
وفي الزواج، إنّ الحياة الجنسيّة مدعوّة إلى أن تكون علامةً وسرًّا للشركة، ومساحةً يهب فيها الزوجان نفسيهما بالكامل أحدهما للآخر، حيث يصبح الحبّ خصباً وفرِحًا وأمينًا.

بُعد الاتّحاد

العلاقة الجنسيّة هي اللّغة الأكمل للحبّ الزوجيّ، فمن خلالها يعبّر الزوجان عن عطاء كلٍّ منهما الكامل والمتبادل للآخر: بالجسد والنفس والروح. وفي هذه اللّفتة الجسديّة، يصبح العطاء الداخلي منظورًا؛ إذ تقول الأجساد بصدق ما سبق أن وعدت به القلوب: "أنا لك، وأستقبلك، وأثق بك".
هذا الاتحاد ليس بيولوجيًا أو جسديًّا فحسب، بل هو اتحاد روحيّ عميق فكلّ لقاء حبّ صادق يجدّد عهد الزواج، ويوحّد ما جمعه الربّ، ويجعل سرّ المسيح والكنيسة حاضرًا (راجع أف ٥، ٣١-٣٢).

بُعد الخصوبة

عندما يكون الحبّ الزوجيّ حقيقيًّا، لا ينغلق على ذاته. ويتجلّى نضجه في الانفتاح على الحياة: الرغبة في مشاركة الحبّ الذي تلقّاه من خلال إنجاب حياة جديدة، جسديّة كانت أم روحيّة.
لا ينتهي الحبّ بولادة الطفل، بل على العكس هو ثمرة الحبّ. لا يقول الحبّ "أريد طفلاً"، بل "أريد طفلاً معك". وإن لم يتحقّق الإنجاب فيمكن أن يتمّ التعبير عن الخصوبة بأشكال شتّى: في الاستقبال، أو الخدمة، أو المرافقة، أو في رسالة مشتركة.
وهكذا، يتعلّم الزوجان أنّ حبّهما لا يُقاس بالنّسل، بل بقدرتهما على الحبّ ومنح الحياة. فالحبّ الخصِب ينفتح على الآخرين، ويفيض، ويبني الجماعة، ويولّد الرجاء.

بُعد الفرح

لقد أراد الله، الذي هو محبّة، أن يكون اتّحاد الزوجين أيضًا مصدر فرح وحنان.

فاللذّة التي ترافق العطاء المتبادَل ليست غاية في حدّ ذاتها، بل هي تعبير طبيعيّ عن الحبّ عندما يُمنَح باحترام وسخاء واهتمام بالآخر.

عندما ندمج الرغبة في العطاء نساهم في أن يكون الفرح الجسديّ روحيًّا أيضًا، وانعكاسًا لحبّ الله الذي "يملأ كلّ شيء جمالاً".

ولهذا السبب تبلغ الحياة الجنسيّة كمالها في الزواج، حيث يتجسّد الحبّ في الإخلاص والعطاء الكامل للذات.

لا تنفي العفةُ الحبَّ، أكان قبل الزواج أو أثناءه، بل هي طريق للنموّ والحريّة، ومدرسة لتعلُّم الحبّ دون تملّك، وتهيّئ القلب لعطاء حقيقيّ ودائم.

من أقوال الأب كافاريل

"الحبّ حقيقة عظيمة جدًا، ومقدّسة جدًا، تتجذّر في أعماق كيان الإنسان، ولكن عليها أن تزدهر أيضًا في عمق كيانه الروحيّ. هذا الحبّ الإنسانيّ الذي يجمع الرجل والمرأة، حتى لو لم يدخل بعد إلى العمق غير أنّه يمهّد إلى حبّ باطنيّ. هكذا نحن مخلوقون، الحسيّ يهيئ الرّوحيّ. والجنس، الذي يسهل التحدّث عنه بسوء، هو حافز للخروج من الأنانيّة، وانفتاح واحد للآخر بعد أن كان كلٌّ منهما في برجه العاجيّ. وإذا عاشا هذا الانجذاب الجسديّ بشكل سليم، فسيتقاربان بطبيعة الحال ويرتقيان إلى مستوى أعلى حتى ينغمس حبّهما بحبّ الله، وهذا ما يُسمّى بالمحبّة الزوجيّة".

الخاتم الذهبيّ، تشرين الثاني–كانون الأول ١٩٥٨، "نحو روحانية المسيحي المتزوّج"

اسئلة لتحضير واجب المجالسة

في نشيد الأناشيد، يبحث الحبيب والحبيبة عن بعضهما، ويتبادلان الإعجاب، ويفقد أحدهما الآخر ثمّ يلتقيان من جديد. حبّهما ليس كاملاً، لكنّه حقيقيّ وشغوف. في حياتكما الزوجيّة، كيف تعزّزان هذا السعي المتبادَل؟ ما هي الإيماءات أو الكلمات أو اللحظات التي تساعدكما على أن تلتقيا من جديد عندما يخنق الروتين أو التعب الحنان والرغبة؟ هل يوجد شيء يدعوكم الربّ إلى "إحيائه من جديد" في حبّكم؟

يُشيد نشيد الأناشيد بجمال الجسد والحبّ البشريّ باعتبارهما أمرين أرادهما الله. كذلك، إنّ اتّحادكما هو انعكاس لتلك "الشّعلة الإلهيّة" التي لا تنطفئ (نش ٨: ٦). كيف تعيشان البُعد الجسديّ والعاطفيّ لحبّكما في

ضوء الإيمان؟ في أيّ لحظات شعرتما أنّ حميميّتكما توحّدكما بشكل أعمق وتجعلكما تختبران شيئًا من محبّة الله؟ كيف تعيشان ذلك حاليًا؟

إنّ الجنس، الذي يُعاش في إطار العهد الزوجيّ، هو لغة للتواصل والانفتاح والعطاء، فهو لا يقتصر على المتعة أو الإنجاب فحسب، بل يعبّر عن الحبّ الكامل بين الزوجين. في مسيرتكما، كيف تكتشفان التوازن بين الرغبة في أن تحبّا والرغبة في أن تكونا محبوبين؟ ما هي الخطوات الملموسة التي يمكنكما اتّخاذها لكي تكون علاقتكما الجنسيّة تعبيرًا تامًّا عن حبّ الله الأمين والحنون والمثمر؟

هل نحن قادرون على التحدّث بصدق واحترام عن حياتنا العاطفيّة والجنسيّة، وعن رغباتنا وصعوباتنا وإرهاقنا، دون خوف أو لوم؟ ما هي الثمار التي نجنيها عندما نقوم بذلك انطلاقاً من الإيمان؟ ما الذي اكتشفناه أو أعدنا اكتشافه بشأن طريقتنا في التعبير عن حبّنا في العلاقة الجنسيّة؟

سَير الاجتماع

نقاط للتفكير حول تبادل الخبرات

إنّ المشاركة هي لحظة نعمة نلمس فيها كيف يحضر الربّ في المحبّة الإنسانية، وفي الحنان والشركة التي نعيشها في حياتنا الزوجية. ويذكّرنا نشيد الأناشيد بأنّ الحبّ الحقيقي، الإنساني والمفعَم بالمشاعر، يمكن أن يكون المكان الذي يكشف الله فيه عن ذاته ويخاطبنا. لذلك، في أثناء مشاركتنا، يمكننا أن نركّز على اللحظات التي عشناها خلال هذا الشهر وشعرنا فيها بحضور الله في حبّنا البشري.

المشاركة

نقترح عليكم بعض المسارات للمشاركة، تساعدنا لكي نسمح لله بأن يغيّر حياتنا وعلاقاتنا.

يدعونا نشيد الأناشيد إلى إعادة اكتشاف الحبّ الإنساني بوصفه مساحةً يكشف الله فيها عن ذاته. ومن خلال الكلمة، والصلاة، والحوار، والالتزامات الصغيرة في حياتنا اليوميّة، نتعلّم أن نعتني "بشعلة المحبّة" التي أوقدها الربّ في زواجنا.

الإصغاء إلى كلمة الله. إنّ نشيد الأناشيد هو كلمة حبّ يوجّهها الله إلينا، يُظهر لنا من خلالها حنانه بلغة بشريّة تتّسم بالشوق والجمال والشركة والإصغاء إلى هذه الكلمة يساعدنا على النظر إلى زوجنا أو زوجتنا بنظرة جديدة، مليئة بالامتنان والإيمان، نكتشف فيها في الطرف الآخر عطيّةً وسرًّا. بأيّ طريقة يساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله على تنقية نظرتنا إلى الحبّ والجسد والحياة الجنسيّة؟

من خلال الصلاة الزوجيّة، يمكن للحبّ البشريّ، بحنانه ورغبته، أن يتحوّل إلى صلاة عندما نقدّمه إلى الله. في الصلاة الزوجيّة، نضع أمام الربّ حياتنا العاطفيّة، وأفراحنا ونقاط ضعفنا، ونترك الروح القدس يجدّد اتّحادنا. وندعوكم إلى أن تختموا صلاتكم الزوجيّة لهذا الشهر بالصلاة معًا: "اجعلني كخاتمٍ على قلبك" (نش 8، 6)، طالبين من الربّ أن يعزّز رباط الحبّ بينكما، ويعلّمكما أن تحبّا بأمانة.

أمّا قاعدة الحياة، التي تُفهم على أنّها تلك الخطوة الصغيرة الملموسة التي تساعدنا... فيمكن أن تكون لفتة حنان أكثر وعيًا، أو كلمة لطيفة بدلاً من توبيخ، أو وقتًا مخصّصًا لنكون وحدنا من أجل التشارك، أو التزامًا بأن نصلّي معًا بانتظام. لا يتعلّق الأمر بالقيام بالمزيد من الأمور، بل بالعيش بمزيد من الحبّ.

الصلاة

يخاطبنا الربّ من خلال سفر نشيد الأناشيد قائلاً:

"قومي يا خليلتي، يا جَميلَتي، وهَلُمّي. فإِنَّ الشِّتاءَ قد مَضى والمَطَرَ وَقَفَ وزال. قد ظَهَرَتِ الزُّهورُ في الأَرْض" (نش ٢: ١٠-١٢).

وكما تتجدّد الحياة مع بزوغ الربيع، فإنّ حبّنا أيضًا مدعوّ إلى أن يتجدّد كلّ يوم. فالحياة الزوجيّة تمرّ بأوقات صعبة مثل التعب والروتين أو البُعد لكنّ الله يدعونا إلى أن ننهض ونخرج من جديد للقاء الآخر، بالشغف نفسه الذي ميّز بداية العلاقة، وبحنان ناضج يعرف كيف يغفر، وينتظر، ويفرح.

لنطلب من الربّ نعمة أن نكتشف من جديد في زواجنا جمال وفرح حبّنا لبعض البعض كما يحبّنا الله: بحبّ حرّ، أمين، خصب ومفعَم بالرجاء. ولتكن أجسادنا، كلماتنا وأفعالنا انعكاسًا لحبّه الخلّاق، ومصدر اتحاد وتسبيح.

ويمكننا أن نصلّي بصوتٍ عالٍ بكلمات بسيطة، مثل:

– أشكرك يا رب على الحبّ الذي يوحّدنا وعلى حضورك الذي يجعله خصباً وأميناً.

– أطلب منك، يا رب، أن تجدّد فينا فرحة النظر إلى بعضنا البعض بحبّ، كما في بداية علاقتنا، وأن نكتشفك في حياتنا اليومية.

– أقدّم لك، يا رب، حياتنا الزوجيّة: اجعل حبّنا علامة تدلّ على حنانك في العالم.

لنصلِّ

أيّها الربّ يسوع، أيّها العريس والصديق،

أنتَ من كشفتَ في الحبّ الإنساني انعكاسًا لمحبّتك الخاصّة، اجعل من زواجنا حديقةً تتفتّح فيها أزهار الحنان والأمانة والفرح.

علّمنا أن نحبّ بعضنا بعضًا بحبّ صبور وسخيّ،

وأن نعتني باللّفتات الصغيرة التي تغذّي وحدتنا،

وأن نكتشف في الآخر وجهك المحبوب والقريب.

ليجدّد روحك فينا الشغف والحنان،

لكي نكون شهودًا على أنّ الحبّ الحقيقي لا ينطفئ ولا ينضب،

"فإِنَّ الحُبَّ قَوِيٌّ كالمَوت" (نش ٨: ٦). آمين.

ونختم الصلاة بتلاوة الصلاة الربيّة: أبانا الذي في السماوات...

تبادل أفكار حول الموضوع – بعض المسارات

يدعونا نشيد الأناشيد هذا الشهر إلى إعادة اكتشاف جمال الحبّ الإنسانيّ بكلّ أبعاده: الروحيّة والعاطفيّة والجسديّة. ففي نظر الله، الحياة الجنسيّة ليست من المحرّمات ولا أمرًا مدنَّسًا، بل هي لغة مقدّسة تعبّر عن العطاء الكامل لشخصين يحبّ أحدهما الآخر. ولعلّ هذا الوقت من التأمّل والصلاة قد ساعدنا على التعرّف إلى جوانب في حياتنا الزوجيّة تحتاج إلى أن تتجدّد، أو تتصالح، أو أن نشكر الله عليها.

نقترح عليكم بعض الأسئلة للمشاركة انطلاقًا من الاختبار التي عشتموه خلال هذا الشهر:

يُظهر لنا نشيد الأناشيد حبًّا يبحث عن الآخر ويفسح المجال أمام الآخر لكي يكتشفه. كيف ساعدنا ذلك على تحسين التقارب والحنان والتواصل العميق في حياتنا الزوجيّة؟

إنّ الحياة الجنسيّة هي لغة من لغات الحبّ. ماذا اكتشفنا أو أعدنا اكتشافه حول طريقة التعبير عن حبّنا من خلال العلاقة الجنسيّة؟ وأيّ جانب من هذا الفصل ساعدك على عيش المصالحة بين الإيمان والجسد، وبين الحبّ البشريّ وحبّ الله؟

الحبّ الزوجيّ هو مدعوّ إلى أن يكون خصبًا. بعيدًا عن الخصوبة البيولوجيّة، هل ساعدنا هذا الموضوع على إدراك خصوبة حبّنا في حياتنا الزوجيّة؟ وإلى أيّ مدى؟ بأيّ طريقة يمكننا أن ننفتح أكثر على خصوبة روحيّة تغيّر محيطنا وتترك أثرًا فيه؟ هل اكتشفتَ دعوةً ملموسة إلى أن تولي مزيدًا من العناية للشركة الكاملة في زواجك؟ في الاحترام، أو الحنان، أو الإصغاء، أو الرغبة، أو الانفتاح على الحياة؟

الفصل السادس – العائلة، قلب الملكوت

"لِأَنَّ مَن يَعمَلُ بِمَشيئَةِ أَبي الَّذي في السَّمَوات هو أَخي وأُخْتي وأُمّي" (متى ١٢، ٥٠)

الأهداف

– إعادة اكتشاف وجه الله العائليّ في الأناجيل.

– فهم كيف يعيد يسوع تحديد مكانة العائلة ودورها، والاحتذاء بمريم ويوسف كنموذجين للدعوة العائليّة.

– تعلُّم العيش في كنف العائلة ككنيسة بيتيّة.

قراءة الكلمة

قراءة من إنجيل القديس لوقا ٢، ٣٩–٥٢

ولَمَّا أَتَمَّا جَميعَ ما تَفرِضُه شَريعَةُ الرَّبّ، رَجَعا إِلى الجَليل إِلى مَدينَتِهما النَّاصِرة. وكانَ الطِّفلُ يَتَرَعْرَعُ ويَشتَدُّ مُمْتَلِئًا حِكمَة، وكانت نِعمةُ اللهِ علَيه.

وكانَ أَبَواهُ يَذهَبانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلى أُورَشَليمَ في عيدِ الفِصْح. فلَمَّا بَلَغَ ٱثنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَة، صَعِدوا إِلَيها جَرْيًا على السُّنَّةِ في العيد. فَلَمَّا ٱنقَضَت أَيَّامُ العيدِ ورَجَعا، بَقِيَ الصَّبِيُّ يسوعُ في أُورَشَليم، مِن غَيرِ أَن يَعلَمَ أَبَواه. وكانا يَظُنَّانِ أَنَّه في القافِلة، فَسارا مَسيرَةَ يَومٍ، ثُمَّ أَخذا يَبحَثانِ عَنهُ عِندَ الأَقارِبِ والمَعارِف. فلَمَّا لَم يَجداه، رَجَعا إِلى أُورَشَليمَ يَبحَثانِ عنه. فوَجداهُ بَعدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ في الهَيكَل، جالِسًا بَينَ العُلَماء، يَستَمِعُ إِلَيهم ويسأَلُهم. وكانَ جَميعُ سامِعيهِ مُعجَبينَ أَشَدَّ الإِعجابِ بِذَكائِه وجَواباتِه. فلَمَّا أَبصَراه دَهِشا، فقالَت لَه أُمُّه: "يا بُنَيَّ، لِمَ صَنَعتَ بِنا ذٰلك؟ فأَنا وأَبوكَ نَبحَثُ عَنكَ مُتَلَهِّفَيْن". فقالَ لَهُما: "ولِمَ بَحَثتُما عَنِّي؟ أَلم تَعلَما أَنَّه يَجِبُ عَلَيَّ أَن أَكونَ عِندَ أَبي؟» فلَم يَفهَما ما قالَ لَهما.

ثُمَّ نَزَلَ مَعَهما، وعادَ إِلى النَّاصِرَة، وكانَ طائِعًا لَهُما، وكانَت أُمُّه تَحفَظُ تِلكَ الأُمورَ كُلَّها في قَلبِها. وكانَ يسوعُ يَتسامى في الحِكمَةِ والقامَةِ والحُظْوَةِ عِندَ اللهِ والنَّاس.

تعليق

مقدّمة

بعد أن غُصنا في أغوار العهد القديم، اكتشفنا كيف تظهر العائلة كالخيط الخفيّ الذي يربط مراحل تاريخ الخلاص بأسره. فمع الآباء، رأينا كيف يدعو الله رجلًا وامرأة، إبراهيم وسارة، لكي يجعل من نسلهما شعبًا له. والآن، إذ نبدأ بالأناجيل، يبلغ الوحي ملأه: الله نفسه يترعرع في كنَف عائلة بشرية. يتحقّق سرّ التجسّد في دفء بيتٍ عائليّ، في "نَعَم" مريم، وفي طاعة يوسف، وفي بيت الناصرة.

وليس هذا من قبيل الصدفة؛ فابن الله، بتجسّده، اختار العائلة لتكون هيكله الأول، ومدرسته الأولى، وجماعة الحبّ الأولى.

وهكذا تصبح عائلة الناصرة خلاصة العهد القديم بأسره وتحقيقه: البيت الذي يسكن فيه الله، وتتجسّد كلمته، ويتجدّد العهد في صمت الحياة اليوميّة. هناك نما يسوع، وتعلّم أن يدعو الله **"أبّا"**، واختبر الحبّ الإنسانيّ، واستعدّ لكي يكشف للعالم وجه الآب.

في الأناجيل، تبدو نظرة يسوع إلى العائلة مُدهشة وجديدة. فهو لا يجعل منها صورة مثاليّة، لكنّه لا ينكر أيضًا تحقيق هذه الصورة؛ إنه ينقّيها، ويفتح آفاقها، ويوسّعها. يتقبّل يسوع واقع العائلة في عصره، بمزاياها وعيوبها، لكنّه ينيرها من الداخل بحقيقة الملكوت. أمام مفهوم مغلق، قائم على قرابة الدم أو الشرف أو الشريعة، يكشف يسوع عن عائلة قائمة على الإصغاء إلى كلمة الله وصنع مشيئته (مر ٣: ٣٥).

وهكذا، لم تعد العائلة مجرّد المكان الذي ننتمي إليه بحكم الولادة، بل أصبحت المكان الذي نتعلّم فيه أن نحبّ ونخدم كأبناء وبنات لأبٍ واحد وهو الله الآب.

تُظهر لنا الأناجيل أنّ يسوع يعيش ويعمل في كنف الأسرة: فهو يشارك في حياة الناصرة، ويحضر حفلات الزفاف والولائم، ويدخل بيوت المرضى والخطأة، ويواسي الأمّهات الباكيات، ويُعيد الأطفال إلى آبائهم، ويصالح بين الإخوة. من خلال هذه اللّفتات اليوميّة، يُعيد يسوع للأسرة كرامتها الأصليّة: أن تكون مكانًا للقاء الله وعيش الحنان والمصالحة.

في ضوء هذا المفهوم، تظهر الأناجيل كإنجيل حقيقيّ للعائلة. بيت الناصرة، بيوت بيت عنيا، مائدة زكّا، عرس قانا، أرملة نائين، مثل الابن الضال، الأطفال الذين استقبلهم يسوع وباركهم... كلّها وجوه ومشاهد تنتمي إلى سرّ واحد: الله يريد أن يسكن بيننا كما يحدث في العائلة، لتكون علامةً منظورة لملكوت الله.

السياق العائليّ في زمن يسوع

وُلد يسوع ونشأ في حقبة اتّسمت بتحوّلات اجتماعيّة واقتصاديّة ودينيّة كبيرة.

فبعد أن هيمنت الحشمونيّة، أتى الرومان، ومعهم اندلعت أزمة اقتصاديّة وسياسيّة كبيرة. بالإضافة إلى حالة عدم الاستقرار، تفاقمت الكوارث الطبيعيّة والمجاعات والظلم الاجتماعي، ممّا أدّى إلى نشوء مجتمع يتألّف من ثلاث مجموعات عائليّة رئيسة:

– ١٠٪ من العائلات الميسورة، الكبيرة، ذات النفوذ ولديهم خَدَم.

– الأغلبية (٧٥٪)، من العائلات البسيطة، من الفلاّحين أو الحرفيّين، الذين كانوا يعيشون في منازل من الطوب، ويتشاركون الأفنية والموارد الضئيلة.

– ١٥٪ من المهمَّشين، ومن بينهم العبيد والمرضى والأرامل والأيتام والمحرومين... الذين لا مأوى لهم ولا عائلة.

عاش يسوع بين الفقراء والمهمّشين، وكان قريبًا جدًا منهم.

كان العالم ينتظر تدخّل الله، وخلاصًا "آتياً من العلاء". وفي هذا الجوّ الذي اتّسم برجاء الآخرة وبالهشاشة الإنسانية، جاءت رسالة يسوع.

خبرة يسوع في العائلة

اختبر يسوع أفراح الأسرة وآلامها. عاش في الناصرة، في بيت متواضع، حيث تعلّم الحبّ والإيمان. وقد تركت علاقته بمريم ويوسف أثرًا عميقًا فيه؛ ففي هذا البيت اكتشف معنى أن يدعو الله "أبّا"، أي الآب.

لكنّه عانى أيضًا من الآلام التي تعيشها الأسرة: وفاة يوسف المحتمَلَة، وحيرة والديه، والوحدة في رسالته.

لهذا السبب يفهم يسوع آلام العائلات الممزّقة ويقترب بحنان من المتألّمين.

نظرته إلى العائلة ليست نظرة وعظيّة يدخل يسوع البيوت، لا ليتحكّم في حياة العائلات، بل ليشفيها من الداخل. ففي كفرناحوم، شفى حماة بطرس (مر ١: ٢٩–٣١)، وفي نائين، أعاد الابن إلى الأرملة (لو ٧: ١١–١٧)، وفي بيت عنيا، رحّب بصداقة مرتا ومريم ولعازار (يو 11). كلّ تصرّف يقوم به، يعيد الحياة إلى العائلة: فهو لا يشفي الجسد فحسب، بل يداوي أيضًا جراح الروح والعلاقات.

كلمته وحضوره يُجبران ما انكسر: الغفران بين الإخوة، والمصالحة بين الآباء والأبناء، والرجاء لمن فقدوا أحبّاءهم. كما تنبّأ ملاخي (ملا ٣: ٢٤): "فَيَرُدُّ قُلوبَ الآباءِ إِلى البَنينَ وقُلوبَ البَنينَ إِلى آبائِهِم". يسوع يحقّق هذا الوعد.

هذا ويحرّر يسوع الأسرة من القيود الثقافيّة... لكي تنفتح وتصبح بيتًا مفتوحًا ومضيافًا ومفعمًا بالرحمة.

ثمّ ينظر إلى العائلة كبذرة للملكوت، مدعوّة إلى أن تعكس شركة الله ذاتها. في أقواله وأفعاله، يدعو إلى بناء علاقات لا تستند إلى رابط الدم أو الاستحقاق، بل إلى الإصغاء إلى الكلمة وإرادة الآب (مر ٣: ٣١-٣٥). وهكذا، وسّع أفق العائلة: من بيت الناصرة إلى العائلة الكبيرة لأبناء الله، أي الكنيسة.

يسوع يرفع من شأن أفراد العائلة

الأب

تجد الأسرة في شخصيّة القديس يوسف نموذجاً للأمانة والثقة والعطاء الصامت. بقلب أبويّ — كما يصفه البابا فرنسيس في رسالته الرّسوليّة، يعلّمنا يوسف أنّ السلطة لا تكمن في السيطرة، بل في الخدمة. أبوّته فيها إبداع ومسؤوليّة: إنه يستقبل سرّ مريم والطفل بإيمان مطيع، ويواجه الصعوبات بالرجاء، ويبحث عن سُبُل جديدة عندما يبدو كلّ شيء مسدودًا أمامه. وهكذا، يكشف أنّ الجوهر في الحياة العائليّة ليس النجاح أو السيطرة، بل الأمانة للحبّ الذي نلناه وعهد به الله إلينا.

وفي الوقت نفسه، يُعتبَر يوسف حارس الحنان ومعلّمًا في التمييز. فصمته ممتلئ من الإصغاء والصلاة؛ وقوّته منسوجة بالوداعة. ومنه نتعلّم أنّ كلّ عائلة يمكن أن تكون "ناصرة": مكانًا يسكن فيه الله في البساطة، وفي العمل اليوميّ، وفي لفتات الحبّ الصامتة. يواصل القديس يوسف، الرجل البارّ والمطيع للروح القدس، بإرشاد عائلات اليوم إلى طريق الثقة، والرعاية المتبادلة، والإيمان المتجسّد في تفاصيل حياتنا اليوميّة.

الأمّ

مريم هي الوجه الأموميّ للإيمان فيها تكتشف الأسرة أنّ الأمومة لا تقتصر على منح الحياة البيولوجيّة، بل على استقبال سرّ الآخر ومرافقته بمحبّة أمينة مفعمة بالرجاء. تحمل مريم يسوع في الجسد، ولكن، قبل كلّ شيء، هي تحمله في الإيمان؛ فأمومتها تولد من الإصغاء إلى الكلمة، وحفظها، وتحويلها إلى حياة. لذلك، هي مثال يجب أن تحتذي به كلّ أمّ وجماعة مؤمنة؛ هي تعلّمنا أن نُسهم في ولادة المسيح في قلب التاريخ، وأن نحتضن الحياة عندما يبدو كلّ شيء غامضًا.

بالإضافة إلى ذلك، إنّ أمومتها هي مدرسة في التعاطف والقوّة. تربّي مريم في صمت الناصرة، وترافق في درب الصليب، وتبقى إلى جانب الحياة التي تولد من جديد في القيامة. إنّها لا تحمي لكي تستبقي، بل تحمي لكي تحرّر؛ ولا تحتفظ لكي تمتلك، بل لتأتمن. معها تتعلّم الأسرة أنّ الحبّ الحقيقي لا يجعل الإنسان منغلقًا، بل يدفعه إلى الأمام؛ ولا يخشى الألم، بل يحوّله إلى رجاء. وهكذا، مريم هي النموذج الأول للأمّ وصورة الكنيسة، تلك التي تلد وتعتني، وتسند إيمان أبنائها وتدفعهم إلى عيش الإنجيل في العالم.

الأبناء

في العائلة المقدّسة، يكشف يسوع عن القيمة العظيمة التي يتمتّع بها الأطفال. ففي ثقافة كان الصغار فيها بالكاد يُعتدّ بهم، وَضَعَهم في المركز، وباركهم وضمّهم إليه. وفي بيت الناصرة، يتعلّم الابن الأزلي أن يكون ابنًا بشريًا، وأن ينمو في الطاعة والحريّة والحكمة. فالأطفال ليسوا مُلكًا للوالدين ولا مشروعًا يحقّقانه، بل عطيّة ائتمنهم الله عليها، ومرآة لحنانه، ووعد بالمستقبل.

وعندما يقول يسوع إنّ "الذين هم مثلهم سيرون ملكوت الله"، يذكّرنا بأنّ الأطفال يعلّمون الكبار طريق الإنجيل: الثقة التي تسلّم ذاتها، والفرح الذي يتجدّد، والبساطة التي تنفتح على الاستقبال. وفي كلّ عائلة، يساعد الأطفال على إبقاء الرجاء حيًّا وعلى تنقية المحبّة، لأنّ حضورهم يدفع الوالدين إلى الخروج من ذواتهم والانفتاح على عطيّة الحياة. وهكذا، يكون طفل الناصرة وأطفال كلّ بيت ذكرى حيّة بأنّ الملكوت ينتمي إلى من يعرفون كيف يقبلونه بقلب متواضع.

يسوع يُعيد تحديد مكانة الأسرة

للوهلة الأولى، قد تبدو بعض أقوال يسوع شديدة التطلّب أو حتى محيّرة: "مَن أحبَّ أبًا أو أمًّا أكثر مني فلا يستحقني" (متى 10، 37)؛ و"دع الموتى يدفنون موتاهم" (لوقا 9، 60). غير أنّ هذه الأقوال لا تعني رفض العائلة، بل هي دعوة إلى تحريرها من الأحكام المطلَقة. فالمسيح لا يهدم الروابط العائليّة، بل ينقّيها، ويرتّبها في موضعها الصحيح، ويفتحها على محبّة الله. فالآب وحده هو من يحتلّ المركز المُطلَق في الوجود؛ وكلّ ما عداه، بما فيها العائلة يُفهَم انطلاقًا منه وبالرجوع إليه.

عاش يسوع في الناصرة جمال الحياة اليوميّة في البيت: "وكانَ يسوعُ يَتسامى في الحِكمَةِ والقامَةِ والحُظْوَةِ عِندَ اللهِ والنَّاس" (لوقا 2، 52). وهناك تعلّم الطاعة والحنان، والعمل والعطاء الصامت. لكنّ رسالته قادته إلى ما يتجاوز حدود القرابة، لكي يؤسّس عائلة جديدة، عائلة من "يسمعون كلمة الله ويعملون بها" (لوقا 8، 21؛ راجع مرقس 3، 35).

لم يقطع يسوع صلته بالأسرة، بل جدّدها انطلاقًا من الإنجيل: فقد دافع عن الأمانة الزوجيّة (متى 19، 3-9)، لا باعتبارها قاعدة جامدة، بل هي تعبّر عن شركة حقيقيّة تحترم كرامة كليهما، ولا سيّما المرأة، التي كانت كثيرًا ما تُهمَّش في عصره. وكان يبشّر في البيوت، ويأكل مع العائلات، ويدخل في قصصها وجراحها. ثمّ علّم تلاميذه أن يلقوا تحيّة عائليّة عندما أرسلهم: " وأَيَّ بَيتٍ دَخَلتُم، فقولوا أَوَّلًا: السَّلامُ على هٰذا البَيت" (لوقا 10، 5). وهكذا، يصبح البيت في رسالته مكانًا للقاء والإيمان والرسالة.

في مجتمع زمن يسوع، كانت الأسرة تقوم على رابطة الدم والميراث والشرف. أمّا يسوع فيقترح أساسًا آخر: روحًا واحدًا، ووعدًا واحدًا، وتاريخًا واحدًا للخلاص. لا تقوم روابط الأسرة على الولادة فحسب، بل على الإيمان أيضًا. "لِأَنَّ مَن يَعمَلُ بِمَشيئَةِ أَبي الَّذي في السَّمَوات هو أَخي وأُخْتي وأُمِّي" (متى 12، 50). وهكذا، توسّع روابط الروح روابط الجسد، وتفتحها على أخوّة شاملة.

من هنا، تصبح العائلة وسيلة لا غاية: مدرسة للخروج من الذات، والعطاء، والخدمة في سبيل الملكوت. ففي الناصرة نتعلّم أن نحبّ، وفي الحياة العلنيّة نتعلّم أن نبذل هذا الحبّ. وتكون العائلة مسيحيّة بحقّ عندما تُنشّئ أشخاصًا أحرارًا، قادرين على المحبّة والخدمة، وتعلّمهم أن يعيشوا أمام الله وقلبهم منفتح على العالم. وكما يذكّرنا البابا فرنسيس: "العائلات هي الوجه المبتسم للكنيسة، والمكان الذي يسكن فيه الله بفرح" (فرح الحبّ، 1). فالمجتمعات القويّة تُبنى على عائلات قويّة.

أقوال الأب كافاريل

لا ينتظر الله من اتّحاد الرجل والمرأة أن يكون صورةً لاتّحاد المسيح والكنيسة فحسب، بل يريده أيضًا في خدمة هذا الاتّحاد، لكي يساهم في تحقيقه. ومن هذه الناحية أيضًا، يتفوّق اتّحاد يوسف ومريم على غيره. فمن خلاله، وُلد المسيح ودخل تاريخ البشر. وفيه أيضًا، تأخذ بداياتها الكنيسة؛ وفيه، أخيرًا، اختبر المسيح مع كنيسته أُلفةً لن يكون لها نهاية.

نعم، إنّ اتّحاد يوسف ومريم هو الكنيسة منذ بدايتها، لأنّها الجماعة البشريّة الأولى التي خلّصها المسيح، وسلّمت نفسها لعمل محبّته المُحوِّل، منذ اليوم الأوّل وطوال سنوات حياتهما المشتَرَكَة الطويلة.

لنتأمّل هذا الرجل وهذه المرأة اللّذين، عند حلول المساء، قد فرغا لتوّهما من تناول الطعام مع ابنهما الكبير. إنّهما يصغيان إليه بانتباه وهو "يُفَسِّرُ لَهما في جَميعِ الكُتُبِ ما يَختَصُّ بِه" (راجع لو 24: 27). ومعه يصمتان، ويسجدان للآب السماوي؛ ويتشفّعان من أجل العالم أجمع. هذه هي الكنيسة في بداياتها الأولى، وهذا هو سرّها، سرّ اتّحاد المسيح والكنيسة. غير أنّ ما كان آنذاك منظورًا بالعين، هو ما ينبغي لنا اليوم أن نؤمن به ونصدّقه دون أن نراه: حضور المسيح بين خاصّته.

لكنّ هذه الكنيسة الناشئة كانت آنذاك مقدّسةً بصورة كاملة؛ فلم يكن في أعضائها أيّ تواطؤ مع الشرّ، حتى لو أنّ يوسف، بخلاف مريم، لم يكن محفوظًا من الخطيئة الأصليّة ومن آثارها. بل أكثر من ذلك، كانا كليهما مغمورين مسبقًا بفيض النعمة المتدفّق من الصليب الذي كان ابنهما يسير نحوه.

ويبقى اتّحاد يوسف ومريم بالنسبة إلى العالم المسيحي المرجعَ الكبير: فالكنيسة تستشفّ ما ينبغي أن تكون عليه وما ينبغي أن تفعله، إذ تتأمّل كيف كان يوسف ومريم يتصرّفان مع يسوع. وهذا الاتّحاد هو أيضًا

مرجع لكلّ البيوت المسيحيّة، لأنّ كلّ بيت مسيحيّ هو مدعوّ، على مثال بيت الناصرة، أن يكون صورةً جديدة، وتجسيدًا متجدّدًا، وإظهارًا لقداسة اتّحاد المسيح بالكنيسة.
هنري كافاريل، العدد 123–124، أيار–آب 1965، عدد خاص: "لا تخف أن تأخذ مريم، امرأتك"

أسئلة لتحضير واجب المجالسة والمشاركة

تظهر عائلة الناصرة في الأناجيل مثل بيت بسيط حيث يسكن الله فيه في حياته اليوميّة الله. فقد عاش كلّ من مريم ويوسف ويسوع المحبّة والطاعة والإيمان في قلب العمل، مع كلّ ما يعيشون من انشغالات، وأفراح. وأنتم، في بيتكم، كيف تكتشفون حضور الله في الأمور الصغيرة، وفي المهامّ اليوميّة، وفي تربية الأبناء، وفي الاهتمام بالأحفاد، وفي أوقات التعب أو السلام؟ وما هي العلامات الملموسة التي تساعدكم على إدراك أنّ بيتكم يمكنه بدوره أن يكون "ناصرة"، أي مكانًا يقترب فيه الله منكم ويجعل حضوره ملموسًا؟
عندما كان يسوع ينمو في الناصرة، تعلّم أن يحبّ ويصغي ويطيع ويخدم. لكنّ رسالته قادته إلى أبعد من ذلك، إذ وسّع روابط الأسرة لتشمل جميع من يعملون بمشيئة الآب (مر 3: 35). وأنتم في حياتكم، كيف تختبرون أنّ عائلتكم مدعوّة إلى الانفتاح على الآخرين، والاستقبال، والخدمة، والمشاركة؟ وما المكانة التي تحتلّها روح التضامن والضيافة والمشاركة في الجماعة في طريقتكم في عيش دعوتكم كزوجين وكعائلة مسيحيّة؟
يسوع لا يُلغي الأسرة، بل يجدّدها. إنّه يحرّرها من الأنانيّة، ويضعها في مسيرة نحو الملكوت. ويعلّم أنّ الأسرة ليست غايةً مغلقة على ذاتها، بل هي مدرسة للمحبّة تدفع الإنسان إلى الخروج من ذاته. ما هي الجوانب في حياتكم العائليّة التي تحتاجون إلى "إعادة توجيهها" في ضوء الإنجيل؟ وماذا يطلب منكم الربّ كي لا تنغلق عائلتكم على ذاتها، بل تكون علامةً على الشركة، وبيتًا منفتحًا على مشيئة الله؟

سَير الاجتماع

محاور للتأمّل من أجل المشاركة

في هذا الاجتماع، سنتأمّل بالنور الذي ينبثق من العائلة المقدّسة، ونكتشف كيف يعلّمنا يسوع ومريم ويوسف أن نعيش الإنجيل في عائلاتنا، من خلال الإصغاء المتبادَل، والصبر، والغفران، والانفتاح على مشيئة الله. وفي المشاركة، يمكننا أن نركّز على الطريقة التي اختبرنا بها خلال هذه الفترة حضور الله في بيتنا، في أوقات الفرح أو عندما نواجه الصعوبات، وكيف أنّ مثال الناصرة ينير حياتنا.

المشاركة

في ضوء هذا الموضوع، كيف تساعدنا نقاط الجهد على أن نعتبر عائلتنا مكانًا يحلّ فيه ملكوت الله، ولا سيّما في الحياة اليوميّة وفي الأمور البسيطة؟

عندما نتأمّل حياة العائلة المقدّسة في الناصرة، نتنبّه إلى أنّ الله اختار أن يكشف ذاته في الحياة اليوميّة: في العمل، والطاعة، ومسيرة النموّ الهادئة والخفيّة. فقد عاش يسوع خاضعًا لوالديه، وكانت مريم تحفظ كلّ الأمور في قلبها (لو 2: 51–52). لم يكن يوجد لفتات استثنائيّة، بل كان كلّ شيء ممتلئًا من حضور الله. في مريم، نكتشف أنّ حفظ الأمور في القلب هو أحد أشكال الإصغاء العميق إلى كلمة الله، حتى عندما لا نفهمها فهمًا كاملًا. فقلبها هو المكان الذي لا تُدان فيه الكلمة ولا نحاول السيطرة عليها، بل تُستقبل وتُترَك لتنضج مع مرور الوقت. وهكذا، يصير الإصغاء إيمانًا، ويصير الإيمان حياةً يوميّة. بأي طريقة ساعدنا الإصغاء إلى كلمة الله هذا الشهر على أن نحفظ في قلوبنا جانبًا من جوانب حياتنا العائليّة؟ وهل ساعدنا على أن نقدّر أكثر مكانة كلّ فرد من أفراد الأسرة وكرامته؟

من خلال الصلاة الزوجيّة، نقدّم للربّ على مثال مريم ويوسف ما نعيشه، وما يفرحنا ويحيّرنا، من دون الاستعجال في فهم كلّ شيء. ندعوكم أن تختموا هذا الشهر صلاتكم الزوجيّة بوضع عائلتكم بين يدي الآب، وأن تطلبوا نعمة الإصغاء إلى مشيئته وقبولها بثقة، كما حدث في الناصرة. هل ساعدتكم الصلاة الزوجيّة على أن تقدّموا عائلتكم للآب كما هي، بما فيها من تعب وتوتّرات وأفراح؟ وهل ساعدتكم على أن تدركوا أنّ عائلتكم هي عطيّة من الله؟

يمكن أن تساعدنا قاعدة الحياة على أن نعيش بيتنا كناصرة يوميّة؛ فالخطوات الصغيرة التي نستطيع أن نعيشها ستسهم، شيئًا فشيئًا، في أن يتحوّل بيتنا ليكون كنيسةً بيتيّة حقيقيّة، وسرًّا لحضور محبّة الله، منفتحًا على مشيئته وفي خدمة الملكوت. فهل يمكننا أن نضع لأنفسنا، هذا الشهر، قاعدةَ حياة تساعدنا على الاهتمام، من خلال أمر ملموس، بالشخص الذي هو في أمسّ الحاجة إلى ذلك في عائلتنا في هذه المرحلة؟

الصلاة

لنأخذ لحظة صمت، ولندخل إلى بيت لحم، هذا المكان البسيط الذي أراد الله أن يولد فيه، ولنَدَع كلمة الله تنيرنا:

قراءة من إنجيل القديس لوقا ٢، ٣٩-٥٢

ولَمَّا أَتَمَّا جَميعَ ما تَفرِضُه شَريعَةُ الرَّبّ، رَجَعا إِلى الجَليل إِلى مَدينَتِهما النَّاصِرة. وكانَ الطِّفلُ يَتَرَعْرَعُ ويَشتَدُّ مُمْتَلِئًا حِكمَة، وكانت نِعمةُ اللهِ علَيه.

وكانَ أَبَواهُ يَذهَبانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلى أُورَشَليمَ في عيدِ الفِصْح. فلَمَّا بَلَغَ ٱثنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَة، صَعِدوا إِلَيها جَرْيًا على السُّنَّةِ في العيد. فَلَمَّا ٱنقَضَت أَيَّامُ العيدِ ورَجَعا، بَقِيَ الصَّبِيُّ يسوعُ في أُورَشَليم، مِن غَيرِ أَن يَعلَمَ أَبَواه. وكانا يَظُنَّانِ أَنَّه في القافِلة، فَسارا مَسيرَةَ يَومٍ، ثُمَّ أَخذا يَبحَثانِ عَنهُ عِندَ الأَقارِبِ والمَعارِف. فلَمَّا لَم يَجداه، رَجَعا إِلى أُورَشَليمَ يَبحَثانِ عنه. فوَجداهُ بَعدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ في الهَيكَل، جالِسًا بَينَ العُلَماء، يَستَمِعُ إِلَيهم ويسأَلُهم. وكانَ جَميعُ سامِعيهِ مُعجَبينَ أَشَدَّ الإِعجابِ بِذَكائِه وجَواباتِه. فلَمَّا أَبصَراه دَهِشا، فقالَت لَه أُمُّه: "يا بُنَيَّ، لِمَ صَنَعتَ بِنا ذٰلك؟ فأَنا وأَبوكَ نَبحَثُ عَنكَ مُتَلَهِّفَيْن". فقالَ لَهُما: "ولِمَ بَحَثتُما عَنِّي؟ أَلم تَعلَما أَنَّه يَجِبُ عَلَيَّ أَن أَكونَ عِندَ أَبي؟" فلَم يَفهَما ما قالَ لَهما.

ثُمَّ نَزَلَ مَعَهما، وعادَ إِلى النَّاصِرَة، وكانَ طائِعًا لَهُما، وكانَت أُمُّه تَحفَظُ تِلكَ الأُمورَ كُلَّها في قَلبِها. وكانَ يسوعُ يَتسامى في الحِكمَةِ والقامَةِ والحُظْوَةِ عِندَ اللهِ والنَّاس.

القارئ: يا رب، تدخل في تاريخنا من دون ضجيج، وأنت سائر في الطريق، وفي العوز، وفي عائلة تضع ثقتها بك.

الجميع: اجعلنا قادرين على أن نتعرّف إليك في البساطة وفي الحياة اليوميّة.

القارئ: لم يجد يوسف ومريم مكانًا، لكنّهما لم يتوقّفا ولم يتمرّدا؛ بل تقبّلا الواقع وتابعا المسير.

الجميع: علّمنا أن نثق بك عندما لا نفهم طرقك.

القارئ: وُلد يسوع في عائلة فقيرة، في بيت لا يملك كلّ شيء ولكنّه يقدّم كلّ شيء.

الجميع: اجعل من عائلاتنا مكانًا يمكنك أن تولد فيه.

القارئ: في بيت لحم، تصبح العائلة الكنيسة الأولى، ومكانًا للاستقبال والإيمان والرجاء من أجل العالم.

الجميع: لتكن بيوتنا مفتوحة وعلامةً على ملكوتك.

يمكننا أن نضيف تلقائيًا طلبات قصيرة أو عبارات شكر.

على مثال مريم، نريد أن نتعلّم أن نقرأ ما نعيشه، لا انطلاقًا من الخوف، بل من منطلق الشكر والتسبيح؛ لذلك، نرفع تسبيحنا إلى الربّ متّحدين بها وبجميع أعضاء فرق السيدة في العالم: "تعظّم نفسي الرب"...

تبادل الأفكار حول الموضوع – بعض المقترحات

على الأرجح، جميعنا مرّ بتجارب عائليّة، أو عرف عن كثب تجارب لبعض العائلات، قد تكون لربّما باعثة على الإحباط أو لا تشجّع على نقل قيم النّور والحقّ والأمانة التي نحن مدعوّون إلى عيشها في عائلاتنا. وفي الوقت نفسه، نحن على يقين بأننا نعرف هذه الفضائل ونلمسها في محيطنا الأقرب. فلنتأمّل في هذين الجانبين:

1. ما هي اللحظة التي تحتفظون بها في قلوبكم ككنز من كنوز الخبرات العائليّة، تلك التي ظهر فيها حضور المسيح بوضوح، لكم جميعًا أو لبعض أفراد عائلاتكم؟

2. هل عشتم خبرةً ساهمت في توسيع آفاق الأسرة، فأصبح أشخاص آخرون، لا تربطهم بكم صلة دمّ، يمثّلون حضور محبّة المسيح في محيطكم العائليّ الأقرب؟

3. هل تعتقدون أنّ إحدى الخبرات التي تذكّرتموها يمكن أن تساعد عائلةً تعرفونها وتحتاج، في هذه المرحلة، إلى القليل من النور؟

الفصل السابع: العائلة المبشّرة بالإنجيل

" مِن بولس... إلى الكَنيسةِ الَّتي تَجتَمِعُ في بَيتِكَ" (فل 1: 2)

الأهداف:

-اكتشاف حداثة الإنجيل في تعليم القديس بولس حول العائلة

-الاعتراف بالعائلة ككنيسة بيتيّة، الجماعة الأولى التي تعيش الإيمان والحبّ

-التعمّق بالحبّ باعتباره عطيّة تشكّل كلّ العلاقات العائليّة

-فهم النصوص البولسيّة حول الزواج انطلاقًا من العطيّة المتبادَلَة في المسيح

قراءة الكلمة

قراءة من الرسالة الأولى من القديس بولس إلى أهل كورنتوس (13: 1 – 10)

"لو تكلّمتُ بلغات الناس والملائكة، ولم تكن لي المحبّة، فما أنا إلاّ نحاس يطنّ أو صنج يرنّ. ولو كانت لي موهبة النبوءة وكنتُ عالمًا بجميع الأسرار وبالمعرفة كلّها، ولو كان لي الإيمان الكامل فأنقل الجبال، ولم تكن لي المحبّة، فما أنا بشيء. ولو فرّقتُ جميع أموالي لإطعام المساكين، ولو أسلمتُ جسدي ليُحرَق، ولم تكن لي المحبّة، فما يجديني ذلك نفعًا.

المحبّة تصبر، المحبّة تخدم، ولا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ من الكبرياء، ولا تفعل ما ليس بشريف ولا تسعى إلى منفعتها، ولا تحنق ولا تبالي بالسوء، ولا تفرح بالظّلم، بل تفرح بالحقّ. وهي تعذر كلّ شيء وتصدّق كلّ شيء وترجو كلّ شيء وتتحمّل كلّ شيء.

المحبّة لا تسقط أبدًا، وأمّا النبوّات فستبطل والألسنة ينتهي أمرها والمعرفة تبطل، لأنّ معرفتنا ناقصة ونبوّاتنا ناقصة. فمتى جاء الكامل زال الناقص. لمّا كنتُ طفلاً كنتُ أتكلّم كالطّفل وأُدرك كالطفل وأفكّر كالطّفل. ولمّا صرتُ رجلاً، ابطلتُ ما هو للطفل. فنحن اليوم نرى في مرآة رؤية ملتبسة، وأما في ذلك اليوم فتكون رؤيتنا وجهًا لوجه. اليوم أعرف معرفة ناقصة، وأما في ذلك اليوم فسأعرف مثلما أنا معروف.

والآن تبقى هذه الأمور الثلاثة: الإيمان والرجاء والمحبّة، ولكنّ أعظمها المحبّة".

تعليق

مقدّمة

تأمّلنا طوال مسيرتنا في تاريخ الخلاص حول كيفيّة تجلّي حبّ الله وتجسّده في حياة الإنسان: منذ الخلق، حين دُعي الرجل والمرأة إلى أن يعكسا صورة الله في الشركة؛ مرورًا بالعهد، حيث يلتزم الله تجاه شعبه كعريس أمين؛ وصولًا إلى ملء المحبّة في المسيح، الذي يبذل ذاته من أجل البشريّة ويجدّد كلّ العلاقات الإنسانيّة.

وفي هذا المسار، اكتشفنا أنّ العائلة ليست مجرّد واقع طبيعي، بل هي دعوة إلهيّة، ومكان لاهوتي تكون فيه محبّة الله مرئيّة وصادقة. وفي نشيد الأناشيد، ظهرت هذه المحبّة الإنسانيّة كفسحة يكشف الله فيها عن ذاته. مع القديس بولس، نتقدّم الآن خطوة نحو الأمام: ندخل في مرحلة الكنيسة الناشئة، حيث يبدأ الإنجيل في تحويل البيوت والعلاقات العائليّة من الداخل. فالقديس بولس لا يكتب مؤلّفات منهَجيّة، لكنّنا نجد في رسائله التي وُلدت وسط جماعات ملموسة مع كلّ ما اختبرت فيه من ثمار أو عاشت توتّرات، رؤية عميقة للمحبّة وللعائلة في ضوء المسيح.

يفهم بولس أنّ الإنجيل لا يهدم الحياة اليوميّة، بل يحوّلها. فرسالته تتغلغل في البُنى الأساسيّة للعالم القديم، من البيت، والزواج، والعلاقات بين الوالدين والأبناء، وبين السادة والخدَم لكي تمتلئ من روح المسيح. وهكذا تصبح العائلة، التي كانت الخليّة الاجتماعيّة الأساسيّة في الإمبراطوريّة الرومانيّة، شيئًا فشيئًا "كنيسةً بيتيّة"، حيث يتعلّم الإنسان المحبّة كعطاء وخدمة، وتُقاس كلّ علاقة بحسب المسيح.

القديس بولس

كان بولس يهوديًا من يهود الشتات، تنشّأ بحسب الثقافة الهلنستيّة، وهو مواطن رومانيّ، استطاع أن يتنقّل بحريّة في مدن حوض البحر المتوسّط. كان يحلم كثيرًا، لكنّ قلبه بقي متجذّرًا في إيمان إسرائيل. وقد تغيّر كلّ شيء بصورة جذريّة عندما التقى المسيح على طريق دمشق: هناك أدرك أنّ المصلوب، الذي كان يبدو ملعونًا بالنسبة إليه، هو في الحقيقة المسيح وابن الله. لقد فتح هذا الاختبار الفصحيّ عينيه وجدّد روحه: فلم يعد يرى الله من منظور الشريعة، بل من منظور النعمة؛ ولم يعد ينظر إلى الخلاص على أنّه استحقاق بشريّ، بل على أنه عطيّة مجانيّة من المحبّة. وفي هذا اللقاء، اكتشف أنّ قوّة الله تتجلّى في الضعف، وأنّ الصليب يُعيد ترتيب سُلّم القيم الإنسانيّة بأسرها.

ومنذ ذلك الحين، تجدّدت نظرته إلى البشريّة بصورة جذريّة: "فلَيسَ هُناكَ يَهودِيٌّ ولا يونانِيّ، ولَيسَ هُناكَ عَبْدٌ أَو حُرّ، ولَيسَ هُناكَ ذَكَرٌ وأُنْثى، لِأَنَّكم جَميعًا واحِدٌ في المسيحِ يسوع" (غل 3: 28). وفي هذا التأكيد يكمن

جوهر فهمه للكنيسة باعتبارها عائلة عالميّة جديدة، وُلدت من المعموديّة وتتغذّى من النعمة. ففي المسيح، تصبح الانقسامات الاجتماعيّة أو الإثنيّة أو العائليّة نسبيّة، إذ تنشأ أخوّة جديدة من نوع آخر: أخوّة أبناء الله وبناته.

وفي رسالته الرسوليّة — التي أبرزها جرت في كورنثوس وأفسس، التقى بولس مجتمعًا متنوّعًا ومجزّأً: تجّارًا، وفلاسفة، وحِرَفيّين، وعبيدًا، وعائلات من أصول مختلفة... وهناك، وسط هذا التنوّع، أعلن رسول الإنجيل بشرى سارّة لا تغيّر المعتقدات فحسب، بل أشكال العيش المشترَك والروابط العائليّة. فاقتراحه لا يتمثّل في أخلاق جديدة، بل في إنسانيّة متجدّدة في المسيح. لذلك، أمام "البيت" الذي كان النواة الاجتماعيّة في ذلك العصر ورمزًا لكل علاقة إنسانيّة، يقدّم بولس أفقًا جديدًا: يصبح البيت كنيسة بيتيّة صغيرة، ومكانًا للشركة والخدمة المتبادَلة ونقل الإيمان.

وفي رسائله، ولا سيّما إلى أهل أفسس وكولوسي وكورنثوس وفيلبّي، نجد مفاتيح هذه الرؤية: فالعائلة لا تقوم على روابط الدم وحدها، بل على الروح؛ ولا يحكمها منطق السلطة، بل منطق المحبّة التي تبذل ذاتها؛ ولا تسعى إلى النجاح أو الكمال، بل إلى الأمانة والشّركة. وبهذا المعنى، تصبح الكنيسة، جسد المسيح، العائلة الكبرى التي تجد فيها كلّ عائلة مسيحيّة معناها ورسالتها: أن تكون انعكاسًا لمحبّة الله، ومكانًا للمصالحة، وتذوّقًا مسبَقًا للملكوت.

البيت/العائلة: الكنيسة البيتيّة

في العالم القديم، كان البيت من صلب الحياة الاجتماعيّة. فلم يكن مجرّد مسكن خاص، بل كان وحدة اقتصاديّة وتربويّة ودينيّة، حيث تُنسَج فيها علاقات القرابة والعمل والإيمان. وكان ربّ البيت ضابط النظام والعبادة المنزليّة، وكانت تقع على عاتقه سلطة تكاد تكون مطلَقة على جميع أفراد الأسرة.

وفي هذا السياق، كان البيت النواة البنيويّة للإمبراطوريّة والمجتمع اليوناني–الروماني. وكان التشكيك في نظامه الأبوي يُعتبَر تهديدًا للتوازن الاجتماعي. غير أنّ بولس اختار أسلوبًا مدهشًا: هو لا يهدم البيت، بل يبشّره بالإنجيل. ومن خلال التبشير بالمسيح في البيوت، يتحوّل هذا المكان اليومي إلى مكان لاهوتي، وإلى خليّة حيّة من شعب الله الجديد.

عندما كان يصل بولس إلى مدينة، لم يكن يبدأ رسالته ببناء الهياكل أو إنشاء المؤسّسات، بل كان يبحث عن بيوت منفتحة على الإيمان. وفيها كان يبشّر ويصلّي ويحتفل بكسر الخبز، ويؤسّس جماعات تجتمع "في بيت..." ومن أمثلة هؤلاء المضيفين وقادة الجماعات الأولى: أَقيلا وبِرِسْقَة، وفِبِي، وفيلِمون، ونمفاس.

تُسلِّمُ علَيكُم كَنائِسُ آسِية، ويُسَلِّمُ علَيكُم في الرَّبِّ تَسليمًا أَقيلا وبِرِسْقَة والكَنيسةُ الَّتي تَجتَمِعُ في بَيتِهما. (1 كو 16: 19)

"إِلى فِيلَمون حَبيبِنا ومُعاوِنِنا ٢وإِلى أَبفِيَةَ أُختِنا وإِلى أَرخِبُّسَ صاحِبِنا في الجِهاد وإِلى الكَنيسةِ الَّتي تَجتَمِعُ في بَيتِكَ" (1 فل 1–2)

وهكذا، يصبح البيت كنيسة: مكانًا للشركة والصلاة والرسالة. وحول المائدة والكلمة، يختبر المؤمنون أخوّة جديدة لا تولي اهتمامًا للتراتبيّات الاجتماعيّة والامتيازات.

وتُعَدّ رسالة بولس إلى فيلمون مثالًا نموذجيًا على هذا التحوّل. فبولس يتشفّع من أجل أنسيمس، وهو عبد، ويطلب أن يُستقبل "لا لِيَكونَ عَبْدًا اليَوم، بل أَفْضَلَ مِن عَبْد، أَي أَخًا حَبيبًا لا كعبد بعد، بل كأخ حبيب" (فل 16). وهو لا يندّد بالعبوديّة بصورة مباشرة — وهو أمر كان مستحيلاً في وضعه — لكنه يُدخل مبدأ جديدًا ألا وهو الأخوّة في المسيح.

وهكذا، لم يكن البيت مجرّد بنية للسّلطة، بل تحوّل إلى مكان للنعمة، حيث يتعلّم الإنسان أن يعيش المحبة المسيحيّة بتبادل. من هنا، تُعاد قراءة العلاقات العائليّة والاجتماعيّة في ضوء الشركة الثالوثيّة: ففي الزواج، وفي علاقة الوالدين بالأبناء، والعيش الأخوي المشترك، يُظهر وجه الله بشفافيّة.

ولهذا تُدعى البيوت المسيحيّة كنائس بيتيّة: جماعات صغيرة يُعاش فيها الإيمان، ويُحتفَل به، ويُنقَل إلى الآخرين.

الكنيسة: عائلة جديدة في المسيح

لا يقتصر تبشير بولس على البيت باعتباره إطار اجتماعيّ، بل يفتح أفقًا أوسع: الجماعة المسيحيّة كعائلة الله الجديدة. فخبرته بالمسيح القائم من بين الأموات جعلته يُدرك أنّ الروابط الأقوى لا تكون بالدمّ أو بالشريعة، بل بالروح التي تجعل جميع المؤمنين إخوة. "فلَستُم إِذًا بَعدَ اليَومِ غُرَباءَ أَو نُزَلاء، بل أَنتُم مِن أَبناءِ وَطَنِ القِدّيسين ومِن أَهْلِ بَيتِ الله (أف 2: 19).

فالكنيسة إذًا هي حقيقة عائليّة جديدة، تتجاوز فيها الانقسامات، ويتعلّم فيها الجميع أن يعيشوا في الشركة. وفيها يحتلّ كلّ مؤمن مكانًا فريدًا، لكنّ الجميع هم متّحدون بالروح الواحد، ومدعوّون إلى بناء جسد المسيح. وفي رسائله، يلجأ بولس باستمرار إلى صُوَر عائليّة لوصف الحياة الكنسيّة: إخوة وأخوات، أبناء وبنات، آباء في الإيمان... وهو يقدّم ذاته أحيانًا كأمّ تلد أبناءها في الإنجيل (راجع غل 4: 19)، أو كأب يحثّ أبناءه بحنان (راجع 1 تس 2: 11).

وهذا البُعد العائلي ليس عاطفيًا ولا رمزيًا فحسب، بل هو الشكل الملموس الذي تجسّد فيه الإيمان. فالجماعة المسيحيّة هي "مسكن لله في الروح" (أف 2: 22)، حيث يشارك كلّ عضو بصورة فاعلة في الحياة المشترَكَة والخدمة المتبادلَة. وفيها يتعلّم الإنسان أن يحبّ، وأن يغفر، ويتشارك الخيرات، ويعيش الإيمان في قلب العالم.

وبهذا المعنى، تكون الكنيسة عائلة العائلات، مدعوّة إلى أن تكون علامة لمحبّة الله في التاريخ. فكلّ عائلة مسيحيّة تواصل وتجسّد، في تفاصيل حياتها اليوميّة، شركة العائلة الكنسيّة الكبرى. ولذلك يحثّ بولس قائلًا: "اِلبَسوا عَواطِفَ الحَنانِ واللُّطْفِ والتَّواضُعِ والوَداعةِ والصَّبْر. ١٣إحتَمِلوا بَعضُكم بَعضًا، وٱصفَحوا بَعضُكم عن بَعضٍ إذا كانَت لِأَحَدٍ شَكْوى مِنَ الآخَر. فكما صَفَحَ عَنكُمُ الرَّبّ، اِصفَحوا أَنتُم أَيضًا. ١٤وٱلبَسوا فَوقَ ذٰلِك كُلِّه ثَوبَ المَحبَّة فإِنَّها رِباطُ الكَمال. (قول 3: 12–14)

وتكمن حداثة الحياة المسيحيّة تحديدًا في هذا: أن تصبح الحياة اليوميّة فسحةً للنعمة، حيث تتحوّل العلاقات العائليّة، بين الزوج والزوجة، وبين الوالدين والأبناء، وبين الإخوة والأخوات، إلى أماكن يختبر فيها الإنسان محبّة المسيح. ومن هذا المنظور، تمثّل الكنيسة بالنسبة إلى بولس، بيتًا كبيرًا يسكنه الله، وعائلةً يتمّ الترحيب فيها بالجميع، بمن فيهم الأضعف والأكثر هشاشة.

العائلة والكنيسة: "ليخضع بعضكم لبعض بتقوى المسيح" (أف 5: 21)

من أكثر المقاطع شهرةً وعُرضةً لسوء التفسير في آنٍ واحد، هو ذاك الذي يقول فيه القديس بولس ما يلي: "أيّتها النساء اخضعنَ لأزواجكنّ خضوعكنّ للرّبّ... أيها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها" (أف 5: 22، 25).

إذا قرأنا هذا النص بعيدًا عن سياقه التاريخيّ واللاهوتيّ، نرى أنه استُخدم على مدى قرون لتبرير خضوع المرأة للرجل. غير أنّ هذا الأمر هو أبعد ما يكون عن قصده. ولكي نفهمه بشكل صحيح، ينبغي لنا أن نقرأه انطلاقًا من أساسه أي الآية التي تمهّده والتي تعطي معنًى للمقطع كلّه:

"ليخضع بعضكم لبعض بتقوى المسيح" (أف 5: 21)

إنّ هذه الآية هي مفتاح فهم النص. فبولس لا يقترح علاقة تقوم على الهيمنة، بل على المعاملة بالمثل والخدمة المتبادلة. والخضوع الذي يتحدّث عنه لا يمتّ بأيّ صلة بالطاعة العبوديّة، بل بموقف المحبّة التي تضع ذاتها في خدمة الآخر، مقتديةً بالمسيح الذي "لم يَأتِ لِيُخدَم، بل لِيَخدُمَ ويَفدِيَ بِنَفْسِه جَماعةَ النَّاس" (مر 10: 45).

من هنا، يستخدم الرسول لغة "قانون البيت" في المجتمع اليوناني–الروماني، وهو نموذج اجتماعي مرتكز على الصورة الأبويّة، إذ كان لربّ البيت سلطة على الزوجة والأبناء والعبيد، لكنه يُدخل فيه مبدأً ثوريًا: محبّة

المسيح. فهو لا يهدم بنية هذا البيت من الخارج، بل يحوّل منطقها من الداخل. فبدلًا من فرض السلطة، يقترح الشركة؛ وبدلًا من الطاعة القسرية، يقترح العطاء المتبادَل.

وهكذا، عندما يقول: "أيتها النساء، اخضعن لأزواجكنّ"، فهو لا يضفي الشرعيّة على عدم المساواة، بل يدعو إلى عيش العلاقة الزوجيّة باعتبارها مجالًا لعيش الإيمان والشركة. وعندما يقول: "أيها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها"، فإنه يطلب من الرجل مستوى عالٍ من الالتزام لم يسبق أحد أن سأله في عصره، ألا وهو الحبّ الذي يصل إلى حدّ بذل الذات بالكامل، حتى الصليب.

فأساس النص لا يكمن في الخضوع، بل في نموذج المحبّة المقترَح: المسيح نفسه.

ويدعو بولس الزوجين إلى أن يعكسا، في علاقتهما المتبادلة، سرّ المسيح العريس والكنيسة العروس: محبّة مجانيّة، حنونة ومثمرة، لا يهيمن فيها أحد ولا يخضع فيها الآخر بصورة سلبيّة، بل يبذل كلاهما ذاته في الحريّة والإيمان.

ولذلك يختم قائلًا: "إِنَّ هٰذا السِّرَّ لَعَظيم، وإِنّي أَقولُ هٰذا في أَمرِ المسيحِ والكَنيسة" (أف 5: 32).

وفي هذا "السر العظيم" تصبح العائلة أيقونةً للشّركة الثالوثيّة. فالزواج ليس مؤسسة تقوم على السّلطة، بل علامة سرّيّة لمحبّة الله، حيث يعطي الزوج والزوجة، المختلفان إنما المتساويان في الكرامة، ذاتهما أحدهما للآخر، كما يبذل المسيح ذاته لكنيسته.

وبهذه الطريقة، لا يظهر القديس بولس وكأنّه يكره النساء ولا كمحافظ، بل كمبدِّل للعلاقات من جذورها. فلا يمكن قراءة رسالته وكأنه يدافع عن البُنى التي ترتكز على الأبوّة، بل كبذرة للبُشرى السارّة التي تنمو مع الزمن لتثمر رؤية جديدة للمرأة والرجل والعلاقة بينهما.

إنّ المبدأ المسيحي للعطاء المتبادل في المحبة، المتجذّرة في المسيح، يحمل في داخله بذرة تتجاوز كل أشكال عدم المساواة.

من هنا، لا ينبغي أن نخاف من هذا النص، بل أن نعيد قراءته في ضوء الروح: فما أراد بولس أن يقوله ليس: "ليأمر أحدكما وليُطِعه الآخر"، بل: "ليحبّ كلّ منكما الآخر كما أحبّنا المسيح".

حيث تكون المحبّة متبادَلة ومجانيّة، تزهر المساواة الحقيقيّة؛ وحيث يكون المسيح هو الأساس، تصبح العائلة سرًّا للملكوت.

"المحبّة تتحمّل كلّ شيء" (1 كو 13)

لا يختزل القديس بولس المحبّة في المجال العاطفي. فعندما يكتب إلى أهل كورنثوس، يتوجّه إلى جماعة حيّة، لكنها منقسِمة، وممتلئة بالمواهب والنزاعات. وفي هذا السياق، يكشف لهم "الطريق الأفضل" (1 كو 12: 31): الأغابي (Agapè) أي المحبّة ذاتها التي يحبّ بها الله.

وهذه المحبّة ليست ثمرة جهد أخلاقي، بل هي عطيّة من الروح (رو 5: 5). إنها المحبّة التي " تَعذِرُ كُلَّ شَيء وتُصَدِّقُ كُلَّ شَيء وتَرْجو كُلَّ شَيء وتَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيء" (1 كو 13: 7). إنها المحبّة التي لا تطلب منفعتها، ولا تغضب، ولا تحتسب الشرّ. وفي الزواج والعائلة، تكون هذه المحبّة الوجه الملموس للحبّ المسيحي: الصبر في الصعوبات، والفرح في الخدمة، والقدرة على البدء من جديد والغفران.

وعندما يصف بولس هذه المحبّة، فهو لا يفكّر في الجماعة الكنسيّة فحسب، بل في الجماعات البيتيّة أيضًا وفي البيوت حيث تُعاش التوتّرات والجراح والمصالحات نفسها. وهكذا تصبح المحبّة التي يحبّ بها المسيح الكنيسة مقياسًا للمحبّة الزوجيّة (أف 5: 25).

ولذلك، فإنّ المحبّة، بالنسبة إلى القديس بولس، هي شكل كلّ فضيلة وكمال الشريعة (رو 13: 8–10). وفي العائلة، تتجسّد هذه المحبّة في أفعال ملموسة جدًا: الحنان الذي لا يذلّ والكلمة المعزّية، والصبر المُساند، والغفران الذي يُعيد البنيان. وهكذا يصبح البيت المسيحي مختبرًا صغيرًا لمحبة الله، يتعلّم فيه كلّ فرد أن يحبّ "لا بالكلام ولا باللّسان، بل بالعمل والحقّ" (1 يو 3: 18)

من أقوال الأب هنري كافاريل

أترك لكم، في ختام حديثي، مثالَ زوجين ينبغي أن يكونا قدوةً في الضيافة المسيحيّة: أَقيلا وبِرِسْقَة. كان هذان النسّاجان اليهوديّان، المقيمان في كورنثوس، قد استقبلا يومًا أحد أبناء قومهما، جاء يبحث عن عمل. فقبِلا أن يعمل معهما، ولم يلبث هذا العامل الجديد أن أصبح معروفًا لديهما. إنّه بولس، الذي وصل حديثًا إلى تلك المدينة الساحليّة الكبرى، بما فيها من تنوّع وانفتاح وانحلال. غير أنّ هذا العامل، الذي استضافاه في بيتهما، سيصبح معلّمهما وأباهما الروحي.

وبفضل كلمته ومثاله، اهتديا إلى المسيح، وفتحا بيتهما أمام المُهتدين الجُدُد في تلك المدينة الكبيرة. وعندما انتقل بولس إلى أفسس، ثم إلى روما، رافقاه. وكان هدفهما دائمًا واحدًا: أن يبقى بيتهما مفتوحًا، فيجد فيه المهتدون الجدد مكانًا يشعرون فيه بأنّهم في بيتهم، ويحتفلون فيه بالإفخارستيا.

كم يُسعدني أن أفكّر في أنّ الحدس العميق الذي كان لدى بولس حول عظمة الزواج قد نضج تدريجيًا خلال السنوات التي أمضاها لدى هذين الزوجين، صديقيه ومعاونيه. ألم يرَ في محبّتهما المتبادَلَة انعكاسَ اتّحاد المسيح والكنيسة؟

واليوم، كما كان الأمر قبل عشرين قرنًا، لا يستطيع الكهنة الاستغناء عن البيوت المسيحيّة: فالكاهن هو المسيح الذي يذهب إلى لقاء الناس ليحمل إليهم رسالة الربّ؛ أما البيت المسيحيّ فهو الكنيسة التي تستقبل في أحضانها، لتحمي وتغذّي وتُفرح أولئك الذين ربحهم للمسيح بواسطة الكرازة.

هنري كافاريل، *الخاتم الذهبيّ*، العددان 111–112، "الزواج، هذا السرّ العظيم"، أيار–آب 1963، ص 275–287، "أَقيلا وبِرِسْقَة"

أسئلة لتحضير المشاركة الجماعيّة

كان المسيحيون الأوائل يجتمعون في البيوت للصلاة، ومشاركة الحياة، والاحتفال بالإيمان. ويتحدّث القديس بولس عن "الكنيسة التي تجتمع في بيتك" كحقيقة حيّة. كيف يكون بيتكم فسحةً للإيمان؟ كيف تعيشون الصلاة، وكلمة الله، والضيافة داخل العائلة؟ وما هي الخطوات العمليّة التي يمكن أن تساعدكم حتى يكون بيتكم شبيهًا بتلك الكنائس البيتيّة الأولى التي عرفها بولس؟

يدعونا القديس بولس إلى أن ننظر إلى المحبّة بعيني المسيح: "أيها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها" (أف 5: 25). فالأمر لا يتعلّق بالهيمنة ولا بالخضوع، بل بمحبّة تبذل ذاتها بحريّة، وتطلب خير الآخر قبل خيرها. كيف تعيشون، في علاقتكم، هذه المحبّة التي تبذل ذاتها ولا تفرض نفسها؟ في أيّ لحظات اختبرتم أنّ محبّة الآخر تقودكم إلى أن تصبحوا أكثر شَبَهًا بالمسيح؟ وما هي اللّفتات اليوميّة التي يمكنكم أن تحسّنوها حتى يصبح حبّكم خدمة أكثر من فرض؟

سَير الاجتماع

أفكار للتأمّل والمشاركة الجماعيّة

في هذا اللّقاء، نريد أن نستلهم من تعليم القديس بولس، وأن نكتشف كيف يحوّل الإنجيل الحياة العائليّة من الداخل، فيجعل البيت مكانًا يسكن فيه المسيح ويعمل.

في المشاركة الجماعيّة هذا الشهر، ندعوكم إلى أن تشاركوا معًا كيف اكتشفتم في هذه الفترة التي تلت اللقاء السابق للفرقة بأنّ عائلتكم هي فسحة للتعبير عن الإيمان وبأيّ ظروف ملموسة عشتم ذلك؛ وكيف كانت

حاضرة في حياتكم اليوميّة هذه المحبّة الصبورة والباذِلَة التي تحدّث عنها مار بولس؛ وكيف تساعدكم خبرة الانتماء إلى العائلة الكبرى، أي الكنيسة، على أن تعيشوا علاقاتكم العائليّة بنظرة أكثر إنجيليّة، وأكثر رجاءً؟

المشاركة

عندما نصغي إلى القديس بولس، نكتشف أنّ الإنجيل لا يُعاش في الهيكل فحسب، بل في البيت أيضًا. فقد وُلدت الجماعات المسيحيّة الأولى حول موائد العائلات، وفي بيوت مفتوحة، حيث كان المؤمنون يصلّون، ويتشاركون خبرات الحياة، ويتعلّمون أن يحبّوا كما أحبّ المسيح. وهذا يساعدنا على أن نفهم أنّ عائلتنا ليست مكانًا خاصًّا، بل كنيسة بيتيّة صغيرة، مدعوّة إلى أن تجعل محبّة الله مرئيّة في الحياة اليوميّة. كيف ساعدنا هذا على أن ندرك أنّ عائلتنا مدعوّة إلى أن تكون كنيسة بيتيّة، لا بما تقوله، بل بالطريقة التي تحبّ بها وتغفر وتستقبل؟

يدعونا هذا الموضوع إلى أن نكتشف، في خبرتنا الخاصّة، كيف يشكّل الإصغاء إلى كلمة الله، شيئًا فشيئًا، طريقة عيشنا داخل العائلة. فالأمر لا يتعلّق بعيش لحظات استثنائية أو كبيرة، بل بالصّلاة والتأمّل البسيط في كلمة الله كلّ يوم، وبمشاركة ما تركته قراءات يوم الأحد من صدى في داخلنا... بحيث نسمح للإنجيل بأن ينير حياتنا. كيف تقوّينا كلمة الله لكي نعيش دعوتنا الزوجيّة، واضعين ثقتنا أكثر في عمل الروح القدس، عِوَضَ الاتّكال على قوانا الخاصّة؟ وهل تساعدنا، بطريقة ما، في دعوتنا إلى التبشير؟

وتظهر الصلاة الزوجيّة عندئذٍ كوقفة مميّزة نتعلّم فيها المحبّة التي يتحدّث عنها القديس بولس: محبّة صبورة، خيّرة، قادرة على الغفران والبدء من جديد. فعندما نصلّي معًا، نسمح لحياتنا بأن تتغيّر تدريجيًا بفعل هذه المحبّة التي "تؤمن بكلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتصبر على كلّ شيء"، والتي تجعل من العلاقة الزوجيّة علامة حيّة لمحبة المسيح.

أمّا قاعدة الحياة، فتساعدنا على ترجمة هذه المحبّة إلى خيارات ملموسة. فهي ليست مطلبًا إضافيًا يُلقى على عاتقنا، بل عونًا بسيطًا يوجّه حياتنا العائليّة نحو انسجام أكبر بين الإيمان الذي نعلنه والطريقة التي نتعامل بها مع بعضنا بعضًا، ونستقبل الآخرين ونخدمهم.

الصلاة

لنأخذ لحظة صمت نستقبل فيها الكلمة التي يوجّهها القديس بولس إلى الجماعة، والتي يتردّد صداها اليوم في بيوتنا وعائلاتنا:

قراءة من رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنتوس (1 كو 13: 1–10)

"لو تكلّمتُ بلغات الناس والملائكة، ولم تكن لي المحبّة، فما أنا إلاّ نحاس يطنّ أو صنج يرنّ. ولو كانت لي موهبة النبوءة وكنتُ عالمًا بجميع الأسرار وبالمعرفة كلّها، ولو كان لي الإيمان الكامل فأنقل الجبال، ولم تكن لي المحبّة، فما أنا بشيء. ولو فرّقتُ جميع أموالي لإطعام المساكين، ولو أسلمتُ جسدي ليُحرَق، ولم تكن لي المحبّة، فما يجديني ذلك نفعًا.

المحبّة تصبر، المحبّة تخدم، ولا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ من الكبرياء، ولا تفعل ما ليس بشريف ولا تسعى إلى منفعتها، ولا تحنق ولا تبالي بالسوء، ولا تفرح بالظّلم، بل تفرح بالحقّ. وهي تعذر كلّ شيء وتصدّق كلّ شيء وترجو كلّ شيء وتتحمّل كلّ شيء.

المحبّة لا تسقط أبدًا، وأمّا النبوّات فستبطل والألسنة ينتهي أمرها والمعرفة تبطل، لأنّ معرفتنا ناقصة ونبوّاتنا ناقصة. فمتى جاء الكامل زال الناقص. لمّا كنتُ طفلاً كنتُ أتكلّم كالطّفل وأُدرك كالطفل وأفكّر كالطّفل. ولمّا صرتُ رجلاً، ابطلتُ ما هو للطفل. فنحن اليوم نرى في مرآة رؤية ملتبسة، وأما في ذلك اليوم فتكون رؤيتنا وجهًا لوجه. اليوم أعرف معرفة ناقصة، وأما في ذلك اليوم فسأعرف مثلما أنا معروف.

والآن تبقى هذه الأمور الثلاثة: الإيمان والرجاء والمحبّة، ولكنّ أعظمها المحبّة".

في ضوء الكلمة التي أصغينا إليها، لنأخذ لحظة صمت، لنفهم أنّ المحبّة التي يتحدّث عنها القديس بولس ليست فكرةً ولا مثالًا بعيد المنال، بل هي عمل الروح القدس الذي يتجسّد في حياتنا الزوجيّة والعائليّة.

وفي هذه اللحظة، نشكر الله على الطُرُق المختلفة التي فيها جعل من محبّته ملموسة في زواجنا وفي عائلتنا، كثمرة لنعمته التي تعمل فينا.

يمكن لكلّ عضو في الفرقة أن يختار صلاة شكر تعبّر عن خبرته. وبما أنّ الأمر شخصيّ جدًا، يمكن تكرار هذه الصلوات بالقدر الذي نحتاج إليه:

- نشكرك، يا رب، على المحبّة الصبورة، التي ساندتنا في أوقات الانتظار والصعوبات.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة الخيّرة، التي تجلّت في أفعال بسيطة من العناية والاهتمام.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي لا تحسد، والتي ساعدتنا أن نفرح لخير الآخر.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي لا تتباهى ولا تنتفخ كبرياءً، والتي ساعدتنا على أن نعيش بتواضع.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي لا تطلب منفعتها الخاصّة، والتي علّمتنا أن نخرج من ذواتنا.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي لا تغضب، وحملت السلام في أوقات التوتر.

- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي لا تفعل ما ليس بشريف، والتي فتحت أمامنا دروب الغفران.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي تفرح بالحق، وساعدتنا على أن نعيش بصدق وإخلاص.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي تعذر كلّ شيء، حين عرفنا كيف نفهم هشاشة الآخر وضعفه.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي تؤمن بكلّ شيء، والتي مكّنتنا من أن نثق من جديد.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي ترجو كلّ شيء، حتى عندما كان المستقبل يبدو غير واضح أو محفوفًا بالشك.
- نشكرك، يا رب، على المحبّة التي تصبر على كلّ شيء، والتي بقيت أمينة أثناء المحنة.
- نشكرك، يا رب، لأن هذه المحبّة لا تزول أبدًا، ولأنّنا نعلم أنها من عطاياك وعمل روحك القدوس فينا.

ونختم بتلاوة الصلاة الربّيّة: أبانا الذي في السماوات...

تبادل أفكار حول الموضوع – بعض المقترحات

"الكنيسة هي عائلة العائلات، مدعوّة إلى أن تكون علامة لمحبّة الله في التاريخ. وكلّ عائلة مسيحيّة تواصل وتجسّد، في الحياة اليوميّة، شركة العائلة الكنسيّة الكبرى".

"في الزواج والعائلة، تكون هذه المحبّة الوجه الملموس للحبّ المسيحي: الصبر في الأوقات الصعبة، والفرح في الخدمة، والقدرة على البدء من جديد والغفران".

يمكن لهذين الاقتباسين من موضوع الفصل أن يشكّلا ملخَّصًا لمضمون هذا الفصل. فنحن نتحدّث فيه عن الشركة، والفرح، والقدرة على الغفران والبدء من جديد. وبالنسبة إلى القديس بولس، فإنّ الحياة العائليّة هي أساسيّة لفهم الملكوت، لأنّ محبّة المسيح تتجلّى فيها بصورة ملموسة.

ومع ذلك، لكلّ عائلة عاداتها وثقافتها وطريقتها في التعبير عن حبّها. وفي كلّ مرّة يبدأ رجل وامرأة مغامرة تأسيس عائلة، فإنّهما يحملان معهما ما عاشاه، والطريقة التي عاشا بها، وفي الوقت نفسه يعملان على تجديدها. وقد تكون هذه الخبرة من أجمل خبرات حياة الزوجين الجديدين، أو قد تتحوّل إلى عائق يبدو مستحيل التجاوز، إذا لم يعرف كلّ منهما كيف يقدّم ما يحمله من خبرة وفي الوقت نفسه يحترم ما يحمله الآخر.

ما هي الذّكريات التي تحملونها عن الصعوبات التي تمكّنتم من تجاوزها في المراحل الأولى لتأسيس عائلتكم؟ كيف استطعتم أن تبدأوا من جديد وأن تغفروا؟ هل ساعدتكم الصلاة أو إحدى نقاط الجهد في ذلك، إذا كنتم قد انتميتم إلى فرق السيدة في تلك المرحلة؟ هل ساعدكم أفراد من عائلاتكم الأصليّة أو أصدقاء مقرّبون؟ يحدّثنا الأب كافاريل عن الضيافة، وكانت في الأصل إحدى الالتزامات الواردة في الميثاق التأسيسي. فما المكانة التي يحتلّها الاستقبال والضيافة في بيتكم؟

الفصل الثامن – نقل الإيمان داخل العائلة

"ولْتَكُنْ هٰذه الكَلِماتُ... ورَدِّدْها على بَنيكَ" (تث ٦: ٦–٧).

الأهداف

– إعادة اكتشاف العائلة باعتبارها المكان الأوّل الذي يُنقل فيه الإيمان ويُحتفل به.

– عيش المحبّة داخل العائلة كتعبير ملموس عن الإنجيل.

– تعلُّم الاتّكال على الله، والاعتراف بأنّ الإيمان هو عطيّة تنمو بحريّة ومع الوقت، خارج نطاق سيطرتنا.

قراءة الكلمة

قراءة من رسالة القديس بولس الثانية إلى طيموتاوس ١، ٣–٧؛ ٣، ١٤–١٧

أَشكُرُ اللهَ الَّذي أَعبُدُ بَعدَ أَجْدادي بِضَميرٍ طاهِر، وأَنا لا أَنفَكُّ أَذكُرُكَ لَيلَ نَهارَ في صَلَواتي. وإِذا ذَكَرتُ دُموعَكَ غَلَبَ عَلَيَّ الشَّوقُ إِلى رُؤيَتِكَ لِأَمتَلِئَ فَرَحًا. وأَذكُرُ ما بِكَ مِن إِيمانٍ بِلا رِياء، كانَ يَعمُرُ قَبْلًا قَلْبَ جَدَّتِكَ لُئِيس وأُمِّكَ أَوْنِقَة، وأَنا مُوقِنٌ أَنَّه يَعمُرُ قَلْبَكَ أَيضًا.

لِذٰلِكَ أُنَبِّهُكَ على أَن تُذَكِّيَ هِبَةَ اللهِ الَّتي فِيكَ بِوَضْعِ يَدَيَّ. فإِنَّ اللهَ لم يُعطِنا رُوحَ الخَوف، بل رُوحَ القُوَّةِ والمَحَبَّةِ والفِطنَة.

فٱثبُتْ أَنتَ على ما تَعَلَّمتَه وكُنتَ مِنْه على يَقين. فأَنتَ تَعرِفُ عَمَّن أَخَذتَه، وتَعلَمُ الكُتُبَ المُقَدَّسَةَ مُنْذُ نُعومةِ أَظْفارِكَ، فهي قادِرَةٌ على أَن تَجعَلَكَ حَكيمًا فتَبلُغَ الخَلاصَ بِالإِيمانِ الَّذي في المسيحِ يسوع. فكُلُّ ما كُتِبَ هو مِن وَحيِ الله، يُفيدُ في التَّعْليمِ والتَّفْنيدِ والتَّقْويمِ والتَّأديبِ في البِرّ، لِيَكونَ رَجُلُ اللهِ كامِلًا مُعَدًّا لِكُلِّ عَمَلٍ صالح.

تعليق

المقدّمة

طوال هذه المسيرة، تأمّلنا، خطوةً بعد خطوة، كيف تعبّر العائلة تاريخ الخلاص بكامله، كخيطٍ خفيّ وقلب نابض. فمنذ البدء، يكشف لنا الكتاب المقدس أنّ الحياة البشريّة لا تُفهَم في العزلة: "لا يَحسُنُ أَن يَكونَ الإِنسانُ وَحدَه" (تك ٢: ١٨). وفي الشّركة بين الرجل والمرأة، المخلوقين على صورة الله ومثاله، يتجلّى سرّ

الخالق نفسه، الذي هو محبّة وشركة. وهكذا تولد العائلة من التدبير الإلهي، لتكون مساحة تُثمر فيها المحبّة، وتُستقبل فيها الحياة وتُرعى وتُنقَل.

في حياة الآباء الأوّلين، نكتشف أنّ تاريخ الخلاص يبدأ في بيت، في خيمة تنطلق في مسيرة. يدعو الله إبراهيم وسارة إلى الخروج من أرضهما، ويجعل منهما عائلة تشكّل نواة شعب. وفي قصّتهما، التي فيها أوقاتًا صعبة تارةً وأوقات جميلة تارةً أخرى، وبالوعود والانتظار، نتعلّم أنّ الإيمان لا ينتقل كميراث بيولوجي بقدر ما ينتقل من خلال الثقة بالوعد. وتتوارث بركة الله من جيل إلى جيل، على الرّغم من كلّ خطاياهم، كما رأينا في حالة إسحق ويعقوب، فتنسج شبكة من العهود التي تسند رجاء الشعب.

يكشف الأنبياء، في ما بعد، عن الوجه المتّقد لمحبّة الله، مشبّهين إيّاها بالحبّ الزوجيّ بين رجل وامرأة: حبّ أمين، غيور، لا يرضى بفقدان الحبيب. فعند هوشع وإشعيا وحزقيال، يُفهَم تاريخ إسرائيل بوصفه تاريخًا عائليًا: الله هو العريس، وشعبه هو العروس الخائنة، والعهد يتجدّد على الدوام. وفي نشيد الأناشيد، تبلغ هذه الصورة ذروتها الشعريّة؛ فالحبّ البشري، بما يحمله من حنان ورغبة وانتظار وبذل للذات، يصبح مرآةً للمحبّة الإلهيّة. ويصبح البيت والقلب هيكلًا يتيح لله أن يلتقينا فيه.

بوصولنا لهذا الإنجيل، يبلغ الوحي ملأه: فالله نفسه يدخل في عائلة بشريّة ويتحقّق سرّ التجسّد في بيت الناصرة، في "نعَم" مريم، وفي طاعة يوسف، وفي حياة الابن الخفيّة. وهكذا تغدو العائلة المكان الذي يسكن فيه الله، وحيث تتعلّم فيه البشريّة أن تدعو الله "أبّا". فلم تعد العائلة مجرّد رابط دم، بل حيّزًا للشّركة في الروح، منفتحًا على المحبّة الشاملة.

مع القديس بولس، يتّسع الأفق أكثر فأكثر. فالرسول، الذي تأثّر كثيرًا باختبار المسيح القائم من بين الأموات، يكتشف أنّ الوجود المسيحي برمّته يتّخذ طابعًا عائليًا. وفي رسائله، يدعو بولس الجماعات أن تعيش كـ"بيت الله" (1 تم ٣: ١٥)، وأن تتعرّف إلى نفسها كإخوة وأخوات في المسيح، وأن يحبّ بعضهم بعضًا بمحبّة "وهي تَعذِرُ كُلَّ شَيء وتُصَدِّقُ كُلَّ شَيء وتَرْجو كُلَّ شَيء وتَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيء" (١ قو ١٣: ٧).

وفي عهد اليونانيين–الرومان، كان البيت هو مركز الحياة الاجتماعيّة والدينيّة، وانطلاقًا من ذلك، يعلن بولس أنّ البيت المسيحي يمكن أن يصبح كنيسةً بيتيّة: جماعةً صغيرة يكون فيها المسيح هو الرب، وتتحوّل فيها الروابط إلى خدمة، وتصبح السلطة عطاءً للذات.

وهكذا نصل إلى نهاية مسيرتنا. فبعد أن اجتزنا الخلق، والآباء الأوّلين، والأنبياء، والحبّ الزوجيّ، وبيت الناصرة، ورسالة القديس بولس، أدركنا أنّ العائلة ليست مجرّد إطار للإيمان، بل هي قناة مميّزة لانتقاله وعيشه، فالعائلة المسيحيّة مدعوّة إلى أن تكون ذاكرة حيّة للإنجيل، ومكانًا لنقل الإيمان والشهادة له، ومدرسةً للإيمان والرجاء والمحبّة.

منذ بدايات شعب الله، كان الإيمان يُنقَل في إطار مائدة، أو احتفال، أو بيت: هكذا كان الحال في عيد الفصح، عندما يسأل الأبناء ويروي الآباء عجائب الله (راجع خر ١٢: ٢٦-٢٧). واليوم أيضًا، تحتفل كلّ عائلة مسيحيّة بـ"فصحها" اليومي عندما تصلّي، وعندما تغفر، وعندما تحافظ على الرجاء وسط المِحن. في البيت، نتعلّم الإيمان ليس بكثرة الدروس بل باللفتات والأمانة الصامتة والحبّ الذي يربّي ويرافق.

لهذا السّبب، تواصل العائلة بأن تكون قلب الكنيسة ومدرستها الأولى للتبشير. فحيث يعلّم أب أو أمّ أبناءهما الصلاة، وحيث يتقاسم أفراد الأسرة الخبز ويتعلّمون الغفران، ويضعون ثقتهم بالله وسط ظروف الحياة، يتحوّل الإيمان إلى تاريخ حيّ .وحتى إن بدا هذا الإيمان أحيانًا نائمًا أو خافتًا، فإنه يبقى بذرةً حيّة أودعها الروح في القلب، وسيعرف كيف يُنبتها في الوقت المناسب.

تعليق

تاريخ خلاص عائليّ

وُلد الإيمان ونما في كنف العائلات. فالله يكشف عن ذاته وسط تاريخ عائليّ، هو تاريخ إبراهيم وسارة ونسلهما. وينتقل الوعد من جيل إلى جيل كبَرَكة عائلية، وكخيط غير منظور يصل خبرة الإيمان لدى الآباء بخبرة الإيمان لدى الأبناء.

لم تكن المدرسة الأولى للإيمان مجمعًا ولا هيكلًا، بل البيت. وقتئذٍ، كان الآباء يعلّمون أبناءهم أن يباركوا في الحياة اليوميّة، وأن يرفعوا الشكر، ويضعوا ثقتهم في الرب. ويعبّر سفر التثنية عن ذلك بقوّة:

"ولْتَكُنْ هذه الكَلِماتُ الَّتي أنا آمُرُكَ بِها اليَومَ في قَلبِكَ. ورَدِّدْها على بَنيكَ وكَلِّمْهم بِها، إِذا جَلَستَ في بَيتِكَ وإِذا مَشَيتَ في الطَّريق وإِذا نِمْتَ وقُمْتَ" (تث ٦: ٦-٧)

إنّ نقل الإيمان لا يعني في المقام الأوّل تعليم الأفكار، بل مشاركة خبرة حيّة: ذكرى ما صنعه الله وما زال يصنعه. يُنقل الإيمان كما يُنقل الحب: بالعدوى، بالشهادة، بالقرب.

العائلة هي المكان الأوّل الذي يتعلّم فيه الإنسان الإيمان، لأنّ فيها يختبر الثقة والأمانة والحبّ الداعم. وليس من قبيل الصدفة أن تكون اللحظات العظيمة في تاريخ الخلاص تتميّز بلفتات عائليّة: أمّ تحمي (موسى وأمّه)، أب يبارك (إسحق)، ابن يطيع (صموئيل)، زوجة تثق (راعوث)... في العائلة، نتعلّم لغة الحبّ، وهي مرآة لغة الإيمان.

نقل الإيمان وصيّة إلهيّة

نقل الإيمان ليس مبادرة اختياريّة أو لفتة حسن نيّة من الآباء التقويّين: إنّها وصيّة إلهيّة، منصوص عليها في صميم العهد. إنّ "شماع إسرائيل"، هو جوهر اعتراف الشعب العبري بالإيمان، ويربط بشكل وثيق بين محبّة الله ونقلها إلى الأبناء. "اسمع" — "شماع" — ليست دعوة سلبيّة، بل نداءً إيجابيًّا لتقبّل الكلمة وتجسيدها.

يُنقل الإيمان لدى الشعب المُختار بوصيّة واضحة: "ولْتَكُنْ هٰذه الكَلِماتُ الَّتي أنا آمُرُكَ بِها اليَومَ في قَلبِكَ. ورَدِّدْها على بَنيكَ وكَلِّمْهم بِها" (تث ٦: ٦-٧).

وهكذا يُظهر سفر التثنية أنّ نقل الإيمان ليس عملاً عرَضيًّا أو برنامجاً تربويًّا، بل أسلوب حياة. لا يُنقل الإيمان في لحظات استثنائيّة، بل في الحياة اليوميّة: "وكَلِّمْهم بِها، إذا جَلَستَ في بَيتِكَ وإذا مَشَيتَ في الطَّريق وإذا نِمْتَ وقُمْتَ" (تث ٦: ٧). يُنقَل الإيمان على مائدة الطعام، وعلى الطريق، قبل النوم وعند الاستيقاظ. تصبح العائلة البيئة الطبيعيّة التي يتنفّس فيها الإيمان، وحيث يطبع حضور الله كل جوانب الحياة.

في كل عشاء فصحيّ يصبح سؤال الابن — "لماذا تختلف هذه الليلة عن غيرها؟" — جوهر التعليم التربويّ للإيمان: الابن يسأل، والأب يروي، ويتجدّد تاريخ الخلاص. وهكذا يصبح البيت اليهودي هيكلًا، والمائدة مذبحًا، والكلمة ذاكرةً حيّة. فالبيت هو المَقدس الأوّل للإيمان، والمَهد الذي يتعلّم فيه الإنسان الإصغاء إلى اسم الرب ومباركته.

وهكذا أيضًا نشأ يسوع، "يَتسامى في الحِكمَةِ والقامَةِ والحُظْوَةِ" (لو ٢: ٥٢). فقد نقلت مريم ويوسف إلى ابنهما إيمان إسرائيل، ولقّناه أصول الصلاة، وعرّفاه إلى قراءة التوراة، وإلى ليتورجيا السبت، وإلى البَرَكة اليوميّة. وقد مرّ سرّ التجسّد أيضًا عبر نقل الإيمان في بيت مؤمن؛ فقد شاء الله أن يتعلّم الإيمان داخل الأسرة، لكي نفهم أنّ الإيمان يُورَث من خلال العيش وليس من التعليم فحسب.

يذكّر القديس بولس، في رسالته إلى طيموتاوس، بهذا الميراث قائلًا: "وتَعلَمُ الكُتُبَ المُقَدَّسَةَ مُنْذُ نُعومةِ أَظْفارِكَ، فهي قادِرَةٌ على أَن تَجعَلَكَ حَكيمًا فتَبلُغَ الخَلاصَ بِالإيمانِ الَّذي في المسيحِ يسوع" (٢ تم ٣: ١٥). فقد تلقّى طيموتاوس الإيمان من أمّه أَوْنِقَة وجدّته لُئِيس (٢ تم ١: ٥)، ثلاثة أجيال توحّدها شهادة إيمان واحدة. وهكذا ينتقل الإيمان من قلب إلى قلب، ليس عن طريق التعليم، بل بالعدوى، كالشعلة التي توقَد من أُخرى.

أعاد المجمع الفاتيكاني الثاني التأكيد على هذه الفكرة، إذ يدعو الأسرة "كنيسةً بيتيّة " (نور الأمم -١١). ففيها يكون الوالدان المبشّرَين الأوّلَين بالإيمان، ومدعوَّين إلى إعلان الإنجيل بكلامهما وبحياتهما. فهما ليسا

معلّمين للتعليم المسيحي بالوكالة، بل شاهدان بحكم دعوتهما. وفي حبّهما المتبادَل وأمانتهما اليوميّة، يتجلّى حبّ المسيح لكنيسته ويصبح منظورًا (راجع أف ٥: ٢٥-٣٣).

بتعبير آخر، لا يقتصر نقل الإيمان على التحدّث عن الله للأطفال فحسب، بل يتمثّل في إظهار الله لهم من خلال حياة الوالدين: في الصلاة المشترَكَة، وفي طلب المغفرة، وفي الاحتفال بالإفخارستيا معًا، وفي رعاية الفقراء، وفي فرح الخدمة. فالعائلة المؤمنة تُبشّر من خلال عيشها بإيمان منسجم مع ما تعلنه. "لا يمكن نقل ما لا نعيشه"، والإيمان المتجسّد وحده هو الذي يقنع.

البيت المسيحي، شأنه شأن البيت اليهودي، يحتاج إلى علامات مرئيّة: إنجيل مفتوح، صليب، زاوية للصلاة، إكليل المجيء، مغارة... هذه العلامات تربّي النظر وتوقظ الذاكرة. في عالم ينسى، تصبح العلامات تذكيرًا بالعهد: فهي تتكلّم عندما يصمت القلب.

الصلاة في البيت: مصدر الوحدة ومدرسة للحياة

الصلاة العائليّة هي روح نقل الإيمان. لا يكفي حضور القداس نهار الأحد معًا؛ بل من الضروري أن يتنفّس أفراد العائلة الإيمان في الحياة اليوميّة في البيت، حيث نتشارك الخبز، ونتحاور، ونضحك أو نبكي. الصلاة في البيت تقدّس الوقت والأفعال البسيطة، وتحوّل يومنا إلى ليتورجيا.

منذ الجماعات المسيحيّة الأولى، كان الإيمان يُعاش في البيوت: "ويَكسِرونَ الخُبزَ في البُيوت، ويَتناوَلونَ الطَّعامَ بِٱبتِهاجٍ وسَلامةِ قَلْب" (أع ٢:٤٦). وكانت البيوت الكنسيّة (Domus Ecclesiae) نواة الكنيسة: فمِنَ البيوت انطلقت البشارة. وقد اضطلعت المرأة بدور أساسيً في ذلك مثل مريم، ولِيدِية، أو بِرِسْقِلَّة، حيث كانت تستقبل الجماعة وتدعم الإيمان انطلاقًا من الحياة الحميميّة في البيت.

وتتطلّب الصلاة في الأسرة المواظبة والإبداع والصبر: صلاة الأبانا قبل النوم، وقراءة إنجيل الأحد، أو إضاءة شمعة خلال زمن المجيء، أو تلاوة البركة قبل تناول الطعام. إنها لفتات صغيرة، لكنها تملك قوّة سرّية: فهي تعلّمنا أنّ الله يسكن بيننا. الصلاة لا تُرتجل: إنها ميراث، نتعلّمها من شفاه الوالدين، كما كان الطفل اليهودي يتعلّم الشِّماع عند النوم.

إنّ نقل الإيمان يعني، في نهاية المطاف، أن نلد في الروح، كما ولدت مريم الكلمة. فهي، أمّ الإيمان، ويوسف، حارسه، هما مثال نحتذي به. ففي الناصرة، صارت الكلمة حياةً يوميّة؛ وهناك تعلّم يسوع أن يصلّي، وأن يعمل، وأن يحبّ.

"مِن جيلٍ إِلى جيلٍ يُسبِّحونَ أَعْمالَكَ ويُخبِرونَ بِمآثِرِكَ" (مز ١٤٥: ٤).

ومع ذلك، لا يُنقل الإيمان كما يُورث ميراثًا بشريًا، ولا يُفرض بالإلزام. فالإيمان عطيّة ونعمة لا يستطيع أن يوقظها في القلب إلا الله وحده. والوالدان هما وسيطان، لا يملكان إيمان أبنائهم. يستطيعان أن يزرعا، ويسقيا، ويرافقا، أمّا النمو فهو من الله (راجع ١ قو ٣: ٦).

وعندما يبلغ الأبناء سنّ المراهقة، أو يمرّون بأوقات من الرفض أو الشكّ، ينبغي ألّا نفقد الرجاء. فالحبّ الصبور يبقي شعلة الإيمان متّقدة في صمت. "وهي تَعذِرُ كُلَّ شَيء وتُصَدِّقُ كُلَّ شَيء وتَرْجو كُلَّ شَيء وتَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيء" (١ قو ١٣: ٧). إنّ نقل الإيمان مسيرة بطيئة، وقد تكون مؤلمة أحيانًا، لكنها مثمرة: "أَنا غَرَستُ وأَبُلُّسُ سَقى، ولٰكِنَّ اللهَ هو الَّذي أَنْمى" (١ قو ٣: ٦).

لذلك، عندما يبتعد الأبناء أو يعيشون من دون إيمان، لا مجال للشعور بالذنب، بل علينا بالرّجاء. فالبذرة التي زُرعت في الطفولة — كلمة، أو مبادرة، أو صلاة مشتركة — تبقى حيّة في القلب، حتى وإن لم تظهر ثمارها. والروح يعمل في الزمن وفي مسيرة كلّ إنسان، حتى في حياة الذين يبدون بعيدين.

إنّ نقل الإيمان يعني أن نحبّ بلا شروط، على مثال أب الابن الضال (لو ١٥): أن ننتظر، ونثق، ونستقبل دائمًا. فالنصر ليس لمن يكون على حق، بل لمن يحبّ أكثر. وهذا الحبّ الصابر والأمين هو، في حدّ ذاته، أفضل تعليم مسيحي وأعمق اعتراف بالإيمان.

من أقوال الأب كافاريل

سرعان ما يصبح الزوجان عائلة. وهكذا تتفتّح الصلاة الزوجيّة، بصورة طبيعيّة، لتصبح صلاةً عائليّة. ولا أعني بذلك أنها تختفي لصالح الصلاة العائليّة، بل إنّها تتّسع وتزدهر فيها(...) .

أولًا، ينبغي أن تحتلّ كلمة الله مكانًا واسعًا في الصلاة العائليّة. (...) على أن تكون هذه القراءة، بطبيعة الحال، غير مختارة بشكل اعتباطيّ، بل أن يتمّ الإعداد لها مسبقًا. وبعد أن نصغي إلى الله الذي يتكلّم في الكتاب المقدس، ينبغي أن نجيبه؛ لكن قبل ذلك علينا أن نسمح للكلمة بأن تدخل إلى أعماقنا وتتغلغل فينا. ولهذا، لا بدّ من وقت للصمت. ومن بالغ الأهميّة أن نتعلّم أن نصمت معًا أمام الله (...)

ومع ذلك، سيكون من الخطأ إهمال الصلوات اللفظيّة (...) .وغالبًا ما يحبّ الأطفال جمع النوايا، لأن ذلك يتيح لهم أن يشاركوا مشاركةً فاعلة في الصلاة. وهم يقدّرون كثيرًا النوايا التي يقدّمها أبوهم وأمهم، ولا سيّما عندما تُظهر هذه النوايا، في الصلاة العائليّة، الاهتمامات والقضايا الكبرى التي تشغل العالم والكنيسة.

ونضيف إلى ذلك أنّ الوالدين يجدان في هذا الأمر وسيلة مميّزة لفهم أعماق نفوس أبنائهم بصورة أفضل.

وأخيرًا، تبيّن أنّ الصلاة الشخصيّة المتلوّة بصوت مسموع هي وسيلة استثنائيّة لتعليم الأطفال كيف يتكلّمون مع الله. فالأطفال الذين لا يسمعون إلاّ صلوات جاهزة لن يكتسبوا أبدًا عفويّة النفس البنويّة التي تتوجّه إلى

أبيها؛ أمّا إذا رأى الأبناء والديهم يصلّون بهذه الطريقة أمامهم، فسوف يحاولون هم أيضًا، في وقت قصير، أن يتكلّموا مع الله أثناء الصلاة العائليّة، ثم في صلاتهم الشخصيّة.

ويمكن أن تتعاقب هذه الأجزاء المختلفة من الصلاة في وقت قصير نسبيًا. وكما يقول أحد البيوت العائليّة: "ينبغي أن تكون الصلاة قصيرة، لا تتجاوز عشر دقائق، حيّة، بسيطة ومتنوّعة". ولهذا السبب نفسه، لن نتحدّث إلا بإيجاز شديد عن صعوبات الصلاة العائليّة. ومع ذلك، فهي صعوبات حقيقيّة جدًا، ولا يمكن تجاهلها.

فبعضها يعود إلى وجود الأطفال الصغار والكبار في الوقت نفسه. وغالبًا ما تتكرّر ملاحظة في الشهادات: لا ينبغي أن نجعل مستوى الصلاة متوافقًا مع الصغار وحدهم، إذا كنّا لا نريد أن يفقد الكبار، في وقت قصير جدًا، اهتمامهم بالصلاة.

ثمّ تتبعها صعوبات أخرى من سيكولوجيّة المراهقين، إذ لا يتحمّس هؤلاء كثيرًا للمشاركة في الصلاة العائليّة. وإنّه لفنّ عظيم تتقنه بعض العائلات، أن تساعد أبناءها على المواظبة على الصلاة المشتركة حتى مغادرتهم البيت. وعندما يتوقّف الأبناء عن هذه الصلاة، فليس ذلك بالضرورة خطأ الوالدين، كما أنه ليس دائمًا خطأ الأبناء.

هنري كافاريل، الخاتم الذهبي، العددان ١١١-١١٢، أيار-آب ١٩٦٣، "الصلاة في العائلة".

محاور للتأمّل أثناء واجب المجالسة

قبل كلّ شيء، لا يعني نقل الإيمان تعليم أمور عن الله، بل أن نحيا بطريقة تتيح لله أن يتمّ اكتشافه في الحياة اليوميّة.

عندما تنظرون إلى حياتكم الزوجية والعائليّة، ما المكان الحقيقي الذي يحتلّه الإيمان في حياتكم اليوميّة؟ هل هو مندمج فيها بصورة طبيعية، أم يبقى محصورًا في أوقات ومناسبات متفرّقة؟

في أيّ أفعال أو مواقف أو قرارات ملموسة ترون فيها أنّ عائلتكم تنقل الإيمان، حتى من دون كلام؟ وفي أي جوانب تشعرون بوجود تناقضات أو حالات صمت تؤلمكم أو تثقل عليكم؟

أمام الأجيال الجديدة (الأبناء، الأحفاد، الشباب المقرّبون منكم...)، ما المخاوف أو الشكوك أو أوجه المقاومة التي تظهر فيكم عندما يحين وقت الحديث عن الله أو إذا أردتم اقتراح مسيرة إيمانية؟ وما الذي يساعدكم على ألّا تتخلّوا عن هذه الرسالة؟

سَير الاجتماع

محاور للتأمّل من أجل المشاركة

في هذه المشاركة، ندعوكم إلى أمر مختلف؛ فالمقصود هنا ليس أن نتحدّث عمّا حدث خلال هذا الشهر، بل عمّا عشناه في عائلتنا.

في هذه المرحلة، من المهمّ أن ننطلق من الثقة لا من الشعور بالذنب. فنقل الإيمان ليس نتيجةً تُقاس، بل هو فعل محبّة يقدّم ذاته ويسوع بنفسه قد علّمنا ذلك في مثل الزارع: فالزارع يخرج كلّ صباح ليزرع، من دون أن يتحكّم في المكان الذي ستقع فيه البذرة، ولا في الثمر الذي ستنتجه.

تسقط بعض البذار على جانب الطريق، فتأتي الطيور وتخطفها. وفي حياة أبنائنا أيضًا تظهر أحيانًا "طيور كبيرة": تأثيرات، وكلمات، واختبارات أو جراح تبدو كأنها تمحو ما زرعناه بمحبة.

وتسقط بذار أخرى على أرض صخرية: لحظات من الحماس السطحي، أو من إيمان هشّ لا جذور له، فينطفئ عندما تأتي الصعوبات.

كذلك، تسقط بذار أخرى بين الأشواك: هموم، وخيبات، وآلام أو نزاعات تخنق ما بدا أنه ينمو.

ومع ذلك، لا يتوقّف الزّارع عن الزّرع. فهو لا يختار الأرض، ولا يستسلم للإحباط، ولا يلوم نفسه على الثّمر، بل يواصل الخروج كلّ يوم، واضعًا ثقته. وأحيانًا، من دون أن نعرف كيف ولا متى، تسقط بذرة في أرض صالحة فتأتي بثمر.

إنّ أبناءنا أو أحفادنا يجتازون كلّ هذه الأراضي طوال حياتهم، مثلنا نحن أيضًا. ونقل الإيمان لا يعني ضمان النتيجة، بل أن نبقى أوفياء لفعل الزرع: كلمة، وصلاة، وشهادة حياة، وحضورًا مفعمًا بالمحبّة.

الثمر ليس ملكًا لنا، والزمن أيضًا ليس ملكًا لنا. فكلاهما لله.

محاور للمشاركة

العائلة هي المكان الأول الذي تُسمَع فيه الكلمة، ونتعلّم فيه الصلاة، وتُربّى فيه الأفعال اليومية على الثقة بالله. لذلك، ونحن نتشارك الآن، نحن مدعوون إلى النظر في نقاط جهدنا الملموسة بوصفها مسالك ملموسة لنقل الإيمان.

نقترح عليكم بعض المحاور للمشاركة. وكما في كلّ ما قد سبق، يمكنكم استخدامهم قدر ما تشاؤون.

في ضوء هذا الموضوع، كيف تساعدنا نقاط الجهد الملموسة على أن نهيّئ مناخًا عائليًا يمكن فيه استقبال الإيمان ونقله بحريّة وفرح؟

خلال هذا الشهر، بأيّ طريقة أغنى سماع الكلمة إيماننا الشخصي والزوجي، وأضفى عليه حياةً، وبالتالي أكثر قدرةً على الانتقال إلى الآخرين؟

كيف تساعدنا الصلاة الزوجية على أن نتحمّل معًا مسؤولية نقل الإيمان، لا بوصفها عبئًا، بل كرسالة أوكلها الله إلينا؟

في واجب المجالسة، هل نحن قادرون على التحدّث بصدق عن إيماننا: عمّا نؤمن به، وعن شكوكنا، وعن الأمور التي يصعب علينا نقلها؟ وما الثمار التي نلمسها عندما نقوم بذلك معًا؟

الصلاة

لنأخذ لحظة صمت لنقف في حضرة الرب، معترفين بتواضع وثقة بالعمل الذي أتمّه هو في عائلاتنا طوال هذه المسيرة.

لنُصغِ في قلوبنا إلى كلمات الرسول بولس:

قراءة من الرسالة الثانية للقديس بولس الرسول إلى طيموتاوس

2 طيموتاوس 1: 3-5

أَشكُرُ اللهَ الَّذي أَعبُدُ بَعدَ أَجْدادي بِضَميرٍ طاهِر، وأَنا لا أَنفَكُّ أَذكُرُكَ لَيلَ نَهارَ في صَلَواتي. وإِذا ذَكَرتُ دُموعَكَ غَلَبَ عَلَيَّ الشَّوقُ إِلى رُؤيَتِكَ لِأَمتَلِئَ فَرَحًا. وأَذكُرُ ما بِكَ مِن إِيمانٍ بِلا رِياء، كانَ يَعمُرُ قَبْلًا قَلْبَ جَدَّتِكَ لُئِيس وأُمِّكَ أَوْنِقَة، وأَنا مُوقِنٌ أَنَّه يَعمُرُ قَلْبَكَ أَيضًا.

(راجع 2 تيموثاوس 1: 3-5).

نقرأ هذه الصلاة بصمت، وليجعل كل واحد منا هذه الصلاة صلاته الخاصة:

يا رب، نضع أمامك تاريخ عائلتنا، مع كلّ ما مررنا به من أفراح وأتراح، ومن بذار زرعناها بمحبّة، ومن بذار يبدو أنها ضاعت في الطريق. أنت تعرف رغباتنا وجراحنا، كما تعرف رجاءنا الصامت.

وكما فعل بولس، نريد أن نبدأ بالشكر.

شكرًا لك، يا رب، على الإيمان الذي تلقّيناه، وعلى الأشخاص الذين نقلوه إلينا —الآباء والأجداد، والرعيّة، والفِرَق، والجماعات — وعلى الكلمات البسيطة، والأفعال اليوميّة، والصلوات التي تشاركناها، وأوقات الصمت التي كنت حاضرًا فيها.

نشكرك، يا رب، لأنك وضعت في عائلاتنا روحًا لا روح خوف، بل روح قوّة ومحبّة وضبط للنّفس.
شكرًا لك لأنك تسندنا عندما نشكّ، وتنهض بنا عندما نشعر بضعفنا، وتواصل عملك حتى عندما لا نؤتي بثمر.
اليوم نريد أن نقدّم لك أبناءنا وأحفادنا. نَكِلَهُم إليك كما هم، في الطرق التي يسلكونها، وفي بحثهم وأسئلتهم ومقاوماتهم.
حرّرنا من الشعور بالذنب ومن اليأس؛ وعلّمنا أن نزرع من دون أن نستحوذ على الثمر، وأن نحبّ بلا شروط، وأن ننتظر من دون أن نفرض وقتًا.
نسألك، يا رب، أن تساعدنا على الثبات في ما تلقّيناه، وأن نعتني بالكلمة الساكنة في بيتنا، وأن نترك الكتب المقدّسة تواصل تربية قلوبنا وتهبنا الحكمة للحياة.
اجعل من عائلاتنا بيوتًا تُسمَع فيها كلمتك، وتحتلّ فيها الصلاة مكانًا بسيطًا وصادقًا، وتكون فيها المحبّة المُعاشَة هي البشارة الأولى بالإنجيل.
يمكن لكلّ واحد أن يكرّر بصوت عالٍ العبارة أو العبارات التي ساعدته أكثر في هذه الصلاة.
نختتم بتلاوة الصلاة الربّيّة (أبانا الذي في السماوات).

تبادل الأفكار حول الموضوع — بعض المحاور

نحن أمام أحد الموضوعات التي تسبّب ألمًا كبيرًا لدى كثيرين منا، لأننا جميعًا نختبر نوعًا من "الفشل" في نقل الإيمان إلى أبنائنا وأحفادنا.
ومع ذلك، كما قرأنا للتو، ليس علينا أن نقيّم النتيجة، بل أن نبقى أوفياء في الزرع.
سيبني أبناؤنا في حياتهم خبرتهم الإيمانيّة على طريقتهم، وليس على طريقتنا؛ وفي أوقاتهم، لا في أوقاتنا.
ومن المؤكّد أنّ أسوأ ما يمكننا أن نفعله هو أن نضعف أو نتراجع.
إنّ أمانتنا لمحبّة يسوع، وللمحبّة التي تجمعنا بعضنا ببعض، والتي أظهرناها لهم، ستكون أفضل طريقة لنقل الإيمان؛ فكلِمَتا "الإيمان" و"الأمانة" ترتبطان في أصلهما اللّغوي الواحد.
فلنعش إذًا الأمانة لكي نستطيع نقل الإيمان، من دون أن نضع لأنفسنا غايات أو أهدافًا محددة. فما يعيشه كلّ واحد من أبنائنا وبناتنا في قلبه سيكون مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بهذه الأمانة التي نظهرها.
ما الأثر الذي تركه فيك هذا الموضوع المتعلّق بنقل الإيمان؟

شاركوا كيف تضعون ثقتكم بالله لكي ينمّي بذور الإيمان التي زرعتموها في حياة أبنائكم. شاركوا كيف تواصلون "زرع البذار" في حياتهم. ماذا يمكننا أن نتعلّم من مثال القديسة مونيكا في علاقتها بابنها القديس أوغسطينوس؟

بعدما تأمّلتم في هذا الموضوع وعملتم عليه، كيف تفهم اليوم مسؤوليتك الشخصيّة والعائليّة في نقل الإيمان، بمعزل عن النتائج الظاهرة؟

ما الدعوة الملموسة التي تحملها معك لكي تعتني بالإيمان في بيتك، وتتيح لله أن يواصل كتابة تاريخ خلاص في عائلتك؟

في أيّ أوقات اكتشفتم أنّ الإيمان يُنقل بما نعيشه أكثر مما نقوله؟

انطلاقًا من نص الموضوع، ما الاختبارات الملموسة التي يمكنكم مشاركتها حول الصلاة في العائلة بوصفها مصدرًا للوحدة أو للمعنى أو للمصالحة؟

ما الصعوبات الحقيقيّة التي تواجهونها اليوم في نقل الإيمان داخل عائلتكم (التعب، وضيق الوقت، والفجوة بين الأجيال، والرفض، واللامبالاة...)؟ وكيف تعيشون هذه الصعوبات في ضوء الإيمان؟

الفصل التاسع – خلاصة المسيرة

"أَنَّ ذاكَ الَّذي بَدَأَ فيكم عَمَلًا صالِحًا سيَسيرُ في إِتمامِه إِلى يَومِ المسيحِ يسوعَ (في ١: ٦)

اقتراح

يختلف هذا الفصل في بنيته عن سائر اجتماعات الفرقة التي عشناها طوال هذه السنة، إذ يهدف إلى مراجعة المسيرة الشخصيّة ومسيرة الزوجين ومسيرة الفرقة، في ضوء ما اختبرناه وعشناه. ويُقترَح أن يكون هذا الاجتماع الختاميّ وقتًا للتأمّل نعيشه معًا، تحت نظر الله، لنرفع الشكر على المسيرة التي اجتزناها معًا في خلال هذه السنة. إنّه لقاءٌ لمشاركة الخبرات داخل الفرقة، مع كلّ ما عشناه ونساعد بعضنا بعضًا، في جوّ من الصلاة والصدق والشركة.

ينطلق هذا الاقتراح من قراءة كلمة الله والتأمّل فيها.

نقترح مخطّطًا للتحضير لهذا الاجتماع. ويمكن لكلّ فرقة أن تركّز على الأجزاء الأكثر ملاءمة لوضعها الراهن. من المهمّ أن يحضّر كلّ زوجين معاً لهذا الاجتماع. في نهاية السنة، سنراجع معًا ما عشناه، ونحدّد نقاط القوة ونقاط الضعف، ونستعدّ لانتخاب الزوجين المسؤولين الجديدين.

ومن الخيارات الممكنة أيضًا أن يُقام هذا الاجتماع ضمن إطار احتفال ختامي بالإفخارستيّا تعيشه الفرقة معًا، وأن تُكيَّف المقترحات بما يتناسب مع مختلف مراحل الاحتفال، وفق ما تراه الفرقة مناسبًا.

قراءة الكلمة

قراءة من رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي ١، ١–١١

١مِن بولُسَ وطيموتاوُسَ عَبْدَيِ المسيحِ يسوعَ إِلى جَميعِ القِدّيسينَ في المسيحِ يسوعَ، الَّذينَ في فيلِبّي، مع أَساقِفَتِهِم وشَمامِسَتِهِم. ٢عَليكُمُ النِّعمَةُ والسَّلامُ مِن لَدُنِ اللهِ أَبينا والرَّبِّ يسوعَ المسيح.

٣أَشكُرُ إِلٰهي كُلَّما ذَكَرتُكم، ٤ففي كُلِّ صَلاةٍ أَرفَعُ الدُّعاءَ دائمًا بِفَرَحٍ مِن أَجلِكم جَميعًا، ٥أَشكُرُه على مُشارَكَتِكم لي في البِشارةِ مُنذُ أَوَّلِ يَومٍ إِلى الآن. ٦وإِنّي على يَقينٍ مِن أَنَّ ذاكَ الَّذي بَدَأَ فيكم عَمَلًا صالِحًا سيَسيرُ في إِتمامِه إِلى يَومِ المسيحِ يسوع. ٧ومِنَ الحَقِّ أَن أَعطِفَ علَيكم جميعًا هٰذا العَطْف، لِأَنّي أَضُمُّكم في قَلْبي، وكُلُّكم شُرَكائي في النِّعمَة، سَواءٌ في قُيودي أَم في الدِّفاعِ عنِ البِشارةِ وتَأييدِها. ٨واللهُ شاهِدٌ لي على أَنّي شَديدُ الحَنانِ علَيكم جَميعًا في قَلْبِ يسوعَ المسيح. ٩وما أَطلُبُ في الصَّلاة هو أَن تَزْدادَ مَحَبَّتُكم مَعرِفةً وكُلَّ

بصيرةٍ زِيادةً مُضاعَفة ١٠لِتُمَيِّزوا الأَفضَل فتُصبِحوا سالِمينَ لا لَومَ علَيكم في يَومِ المسيح، ١١مُمتَلِئينَ مِن ثَمَرِ البِرِّ الَّذي هو مِن فَضْلِ يسوعَ المسيح تَمجيدًا وتَسبيحًا لله.

تعليق

لا يشير القديس بولس في بداية هذه الرسالة إلى النواقص أو يصحّح الأخطاء، بل يقدّم الشكر. فعندما ينظر إلى جماعة فيلِبّي، يفيض في قلبه الامتنان والفرح. وهذه نقطة أساسيّة جدًا في مراجعتنا هذه السنة: أن ننظر إلى المسيرة التي قمنا بها انطلاقًا من فعل الشكر، وليس ممّا "فشلنا في تحقيقه".

يشكر بولس الله كُلَّما ذَكَرتُكم. "فالذاكرة الإيمانيّة ليست جَردة حساب للإخفاقات، بل هي مكان نعترف فيه بعمل الله. وفي نهاية هذه السنة، نحن أيضًا مدعوّون إلى أن نتذكّر المواضيع واللقاءات والصعوبات والخطوات الصغيرة التي اجتزناها، ليس بدافع الحكم على الذات، بل حتى نكتشف كيف كان الله حاضراً منذ اليوم الأول وحتى يومنا هذا.

يعترف الرسول بأمر أساسي: "مُشارَكَتِكم لي في البِشارة". فهو لا يتحدّث عن نتائج مذهلة، بل عن تعاون مخلص. وهكذا، لم نعش هذه المسيرة بصورة فرديّة ومنعزلة، بل قمنا بها معًا، كأزواج، وكفرق، وككنيسة. فكلّ جهد نبذله للإصغاء إلى كلمة الله، وللصلاة معًا، وللعناية بالعلاقة الزوجيّة، هو بالفعل مشاركةً في عمل الله، حتى لو كانت هذه المشاركة ضعيفة، أو متقطّعة، أو صامتة.

توضح الآية الأساسيّة كلّ شيء: "أَنَّ ذاكَ الَّذي بَدَأَ فيكم عَمَلًا صالِحًا سيَسيرُ في إِتمامِه". وهنا، نتحرّر من عبءٍ يُثقل كاهلنا: وليس علينا أن نشعر أنّ مسؤوليّة تحقيق النموّ في حياتنا الزوجيّة أو الروحيّة تقع علينا وحدنا، ولا حتى في الزواج أو في مسألة نقل الإيمان لأبنائنا. فإنّ الله هو الذي يبادر إلى العمل ويدعمه ويقوده. وسيبقى دورنا يقتضي باستعدادنا ومثابرتنا والبدء من جديد.

يقول بولس عبارةً بالغة الجمال: "لِأَنّي أَضُمُّكم في قَلْبي". فالمسيرة المسيحيّة ليست برنامجًا من الأفكار، بل خبرةً من الشركة. ولم تكن هذه السنة مجرّد مجموعة من المواضيع، بل كانت تاريخًا مشترَكًا، نُسِج من الروابط، والإصغاء والمرافقة المتبادلة. وهذه بحدّ ذاتها ثمرة من ثمار الروح، حتى وإن كنّا لا نراها دائمًا.

عندما يصلّي بولس من أجل الجماعة، لا يطلب النجاح ولا الفعاليّة، بل "أَن تَزْدادَ مَحَبَّتُكم مَعرِفةً وكُلَّ بصيرةٍ زِيادةً مُضاعَفة". تلخّص هذه العبارة بشكل جيّد جدًا روح البرنامج برمّته: لا يتعلّق الأمر بأن نقوم بالمزيد، بل أن نحبّ بصورة أفضل، بمحبّة تزداد نضجًا في التمييز، وتتجسّد أكثر فأكثر، وتصبح أكثر إنجيليّة في الواقع الملموس للحياة العائليّة.

وأخيرًا، يتحدّث عن "ثَمَرِ البِرّ"، ليس باعتبارها استحقاقًا شخصيًّا، بل "مِن فَضْلِ يسوعَ المسيح". فالثمار — إن وُجدت — ليست جوائز شخصيّة، بل علامات تدلّ على أمانة الله. وإن كنّا لا نراها بشكل واضح بعد، فالكلمة جاهزة لتمنحنا الدعم: تبقى المسيرة مفتوحة، فالعمل لم ينتهِ بعد.

اجتماع الفرقة

الاستقبال

يُحضّر الزوجان المضيفان سلّةً يضعان فيها أوراقًا بيضاء، تُكتب عليها في وقت لاحق أسماء الزوجين اللّذين نقترحهما لتولّي المسؤوليّة في العام المقبل. نُبقي السلّة طوال الاجتماع حتى اللّحظة التي نقرّر فيها إجراء الانتخابات.

تبادل الأفكار

ندعوكم إلى مشاركة ما يلي:

–شخصيّة من الكتاب المقدّس وجدتم أنفسكم فيها أو شعرتم بأنكم تشبهونها

–صلاة لمست قلبكم

–نصيحة ساعدتكم

–فكرة أنارت مسيرتكم

–لحظة مع الفرقة أثّرت فيكم

المشاركة

ندعوكم إلى مشاركة نقطة جهد كانت صعبة التطبيق أو اكتشفتم معناها من جديد.

موضوع الدراسة

كيف عشنا موضوع الدراسة لهذا العام؟ هل ساعدنا على العيش مع العائلة بطريقة مختلفة؟

خبرة حركة فرق السيدة

كيف عشنا علاقتنا مع سائر أعضاء الحركة؟ وكيف كانت مشاركتنا في نشاطات القطاع، وفي الخدمات التي طُلبت منا، أو في استخدام الموقع الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي؟ وهل نشعر بأننا جزء من الحركة على نطاق واسع؟

انطلاقًا من كلّ ما عشناه هذا العام:

–ما الأمور التي يجب أن نحافظ عليها؟

–ما الذي ينبغي أن نغيره؟

انتخاب الزوجين المسؤولين

يمكن انتخاب الزوجين المسؤولين عن السنة المقبلة في هذا الجوّ من الصلاة.

كما يمكن للزوجين المسؤولين عن هذا العام الفائت أن يعبّرا عن خبرتهما في المسؤوليّة التي عاشوها، ويمكن للفرقة أن تعبّر عن انتظاراتها أو "تنشيطًا" معيّنًا من المسؤولين الجدد.

ويمكننا أن نختتم بالصلاة معًا:

"يا ربّ، نحن مجتمعون باسمك. ونحن هنا مع الشخص الذي اتّحدنا به بسرّ الزواج، ومع الأزواج والمرشد أو المرافق الروحي في فرقتنا، لكي نكون منتبّهين لبعضنا البعض، ونحمل بعضنا البعض في الصلوات. يا ربّ، امنحنا نعمة أن نميّز ما هو جوهريّ في حياتنا الإيمانيّة، وافتح قلوبنا وعقولنا لكي تصبح فرقتنا، يومًا بعد يوم، جماعةً أخويّة أكثر فأكثر، وتكون في خدمتك. آمين".

نشيد مريم (Magnificat)

صلاة تطويب الأب كافاريل وإعلان قداسته

الملاحق

نشيد مريم

تُعَظِّمُ الرَّبَّ نَفْسي
وتَبْتَهِجُ روحي بِاللهِ مُخَلِّصي
لأَنَّه نَظَرَ إِلى أَمَتِه الوَضيعة
سَوفَ تُهَنِّئُني بَعدَ اليَومِ جَميعُ الأَجيال
أَنَّ القَديرَ صَنَعَ إِلَيَّ أُمورًا عَظيمة: قُدُّوسٌ ٱسمُه
ورَحمَتُه مِن جيلٍ إِلى جيلٍ لِلَّذينَ يَتَّقونَه
كَشَفَ عَن شِدَّةِ ساعِدِه فشَتَّتَ المُتَكَبِّرينَ في قُلوبِهم
حَطَّ الأَقوِياءَ عنِ العُروش ورَفَعَ الوُضَعاء
أَشبَعَ الجِياعَ مِنَ الخَيرات والأَغنِياءُ صَرَفَهم فارِغين
نَصَرَ عَبدَه إِسرائيل ذاكِرًا، كما قالَ لِآبائِنا
رَحمَتَه لِإبراهيمَ ونَسْلِه لِلأَبد
المجد للآب والابن والروح القدس من الآن وإلى دهر الداهرين.
آمين

صلاة تطويب الأب كافاريل وإعلان قداسته

اللّهمّ، يا أبانا،
لقد وضعتَ في أعماقِ قلبِ خادمك هنري كافاريل، تَوْقاً الى الحبِّ يربطه بلا قيدٍ أو شرطٍ بابنك، ويُوحي إليهِ بأن يتكلّمَ عنْه.
كان نبيّاً من أنبياء زمننا، لقد أظهر لنا كرامة وجمالَ دعوة كلّ إنسان منّا،
كما قال يسوع لجميع الناس: "تعالَ واتبعني."
حمّس الأزواجَ لعظَمةِ سرِّ الزواج، الذي يعني سرَّ الوحدة والحبِّ المثمر بين المسيح والكنيسة.
ودلّ على أنّ الكهنةً والأزواج، مدعوّون الى أن يعيشوا دعوة الحبّ.
وأرشد الأرامل لأن الحبّ أقوى من الموت.
دفعه الروح القدس، إلى إرشاد العديد من المؤمنين إلى درب الصلاة.

واستولتْ عليْهِ نارٌ مُلْتَهِمة، لأنّك كنتَ تسْكنه، يا رب.
اللّهمّ، يا أبانا، بشفاعة سيّدتنا مريم، نسألكَ أن تستعجل يوم تُعلِن الكنيسة قداسة حياته،
لكيْ يجدَ جميعُ الناس فرحَ السير في خطى ابْنك،
كلٌّ واحدٍ بحسب دعوته في الروح القدس.
اللّهمّ، يا أبانا، نلتمس الأب كافاريل لـ... (تحديد النعمة).